

لواء الأمم

مجلة دينية وثقافية اجتماعية

جمادى الآخرة ١٣٧٨

ديسمبر ١٩٥٨

العدد العاشر

السنة الثانية عشرة

صاحب لائحه
احمد حمزة



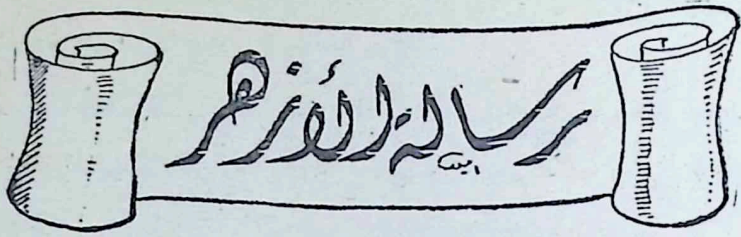
صاحب الامتياز
أحمد حمزة

الممدد العاشر «لواء الإسلام» جمادى الآخرة ١٣٧٨ هـ
السنة الثانية عشرة ١٢ ديسمبر ١٩٥٨ م



حكمة العبد

هم أيقظوا رُقط الأفاعى ونهبوا عقارب ليل نام عنها حواتها
 وهم نقلوا عنى الذى لم أفة به وما آفة الأخبار إلا رواها
 شاعر



- ٢ -

القرآن ... القرآن

أجملنا في العدد الماضي رسالة الأزهري ، وأشرنا إلى الأهداف إشارة موجزة ، وقلنا إن غاية الغايات لهذا المعهد العتيق ، هي دراسة الشريعة في أصولها وفروعها ، والتعمق فيها ، وبيانها للناس ، وفتح نافذة من النور لغير المسلمين ، ليعرفوا حقيقة هذه الشريعة الغراء .

وإن هذه الشريعة تعود في جملتها وتفصيلها إلى القرآن ، فهو حبل الله الممدود إلى يوم القيامة ، وهو حجته القائمة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد أدرك المسلمون ذلك ، منذ تلقوه من فم الرسول الأمين ، محمد صلى الله عليه وسلم عندما تلقاه عن ربه ، وعرفوا له حقه ، بعد أن قبض الله رسوله إليه ، فكان أول تفكير للصحابة وعلى رأسهم الشيخان أبو بكر وعمر ؛ هو حفظ القرآن متواتراً إلى يوم القيامة . ولذلك اتجه الصحابة أول ما اتجهوا إلى جمعه ، وإلى العناية بحفظه وتلاوته وترتيبه ، كما تلاه ورتله النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان كثيرون من الصحابة يحفظونه كله ، وسهل عليهم حفظه أنه نزل منجماً ، فكانوا يحفظون كل آية أو سورة في وقت نزولها ، ولذلك قال سبحانه وتعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِجْلَةً وَاحِدَةً ، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً » . وقال سبحانه :

« وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا » .

واستمر الحفاظ للقرآن في كل جيل بالألوف ، بل بالآلاف ، لأنهم علموا منزلة القرآن ، وأدركوا أنه علم النبوة ، حتى لقد قال عبدالله بن عمر : « من حفظ القرآن فقد أدرج النبوة بين جنبيه » . فتواتر تواتراً لم يعرف لكتاب من قبله . تواتر بألفاظه وبتجويده

وبترتيله وبوقوفه ، حتى إن القارىء إذا قرأه مجوداً مرتلاً يحاكي رسول الله فيما تلا ورتل .
ولا فرق في حفظ القرآن بين عربى وأعجمى ، حتى كنا نشاهد الأعجمى الذى لا يعرف
حرفاً عربياً يتلو القرآن مرتلاً مجوداً كما يشاهد فى الهند .

وكانت مصر لها القدر الملى ، فقد كانت أكثر البلاد الإسلامية حفظة وقراء ، وكان
الناس يعمنون بتحفيظ الناشئة القرآن ، وعودهم أخضر ، وعقولهم غضة ، ومن لم يوفق فى حفظه
كله يحفظ بعضه .

ولكن طغى العلم الدنى على العلم القرآنى ، فذهبت تلك الكتابات التى كانت تحفظ
الناشئة القرآن ، وتقوم ألسنتها ، وتوجهها نحو الدين ، وإذا كانت فيها صرامة ، فقد كانت
تلك الصرامة تقوى إرادتهم وتجعلهم لا ينشأون ضغاف النفوس .

وحلت محل الكتابات المدارس الأولية أولاً ، ثم رياض الأطفال وما يشبهها ثانياً ،
وأصبح القرآن يحتاج إلى عناية بتحفيظه ليحفظ تواتره .

وقد تنبه رجال مؤمنون لهذا الواجب فأشأوا جماعات لتحفيظ القرآن ، وأنشأت تلك
الجماعات مدارس خاصة لذلك ، ولكنها الآن بين الحياة والموت وأسباب الفناء تجيئها
من كل جانب .

وهنا تشرب الأعناق إلى الأزهر ، لأن ذلك الواجب يلقى عليه ، ولا يكتفى بتبرع
التبرعين ، بل عليه حينئذ أن يتولى العناية بتحفيظ القرآن وحفظ تواتره ، فتكون تلك
المدارس التى أنشأها ذوو الإيمان والقلوب النيرة تحت رعايته ، وينشئ هو مثلها تابعة له .
على أن يكون حفظ القرآن هو الركن الرئيس فى كيان المدارس الابتدائية للأزهر ، والتى
ينشئها للقرآن ؛ ويعلم الطالب فيها ما يعلم للناشئة فى أول حياتهم من غير بحس لعقولهم ،
ولا إهمال للقرآن الذى هو الغاية الأولى من هذه المدارس .

إن الأزهر إن لم يفعل ذلك ، يتخلى عن أوجب واجباته فى وقت الحاجة إليه ، ولن
تتحقق للأزهر رسالة الحق إلا إذا كان أساسها حفظ القرآن .

إن حفظ القرآن هو حفظ الشريعة ، والعناية بالقرآن هى العناية بالشريعة ، ومن فصل
الشريعة عن القرآن فقد فصلها عن أصلها ، وإننا نؤمن بأن القرآن محفوظ إلى يوم القيامة
لأن منزل القرآن قال فى التنزيل : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .

محرر

نَفْسِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمَةِ

« وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَقُلَّ وَمَنْ يَقُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُوقَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤) » (سورة آل عمران)

سيحرمون إن لم يقاقلوا ، فبينت هذه الآيات بالإشارة أنه لا قسمة قبل انتهاء المعركة ، وأن الغنيمة لا يختص بها فريق دون فريق ، وأن الغنيمة نتيجة النصر ، والنصر ثمرة تعاون الجميع ، فحق أن تقسم الثمرة على الجميع ، ولقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للرماة : « أظنتم أنا نفل ولا تقسم لكم » ؟ .

وإن الله سبحانه وتعالى يسن الأحكام العامة للمناسبات الخاصة ، ليكون السبب

١ — الكلام في غزوة أحد وما فيها من عبر وما بينه الله سبحانه وتعالى من أحكام مناسبة ما كان فيها ، وفي هذه الآيات يبين ما يجب من مراعاة الأمانة بالنسبة للغنائم في الحروب ، ذلك أن الرماة الذين مخالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم قد خالفوه لأنهم خشوا أن يفرد المقاتلون بالغنيمة دونهم ، إذ ظنوا أن من يستولى على شيء فهو له ، وهم بموقفهم موقف الحراسة لظهور المقاتلين

موضحاً للحكم ، وإن كان الحكم عاماً ، ولذا قال سبحانه : « وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ، وَمَنْ يَمْلِكُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

٢ - ابتدأ سبحانه بنفي وصف الغلول وهو الخيانة في الغنائم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لبيان أن التسوية في القسمة مطلوبة من الجميع لا فرق في ذلك بين قائد وقائد ، ولو كان أحد يسوغ له ألا يسوى في القسمة لما كان رسول رب العالمين ، ولكنه أول من ينفي عنه هذا الوصف ، ولأن الرماة تعجلوا خشية ألا يأخذوا ، فبين الله لهم أن عدم تسويتهم في الغنيمة غلول ، وما كان الغلول من شأن النبي صلى الله عليه وسلم ، وليبيان أن عدم توزيع الغنيمة بالعدل خيانة ، فلا يستكبر قائد عن أن يوصف بها إذا وقع منه عدم التسوية .

ومعنى قول الله تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ » . . . « ما ساغ وما صح لنبي أن يخون ، فالنفي هنا نفي للشأن ، أى ليس من شأن النبي أن يخون ، والتنكير هنا للتعميم ، فليس من شأن أى نبي يتكلم عن الله تعالى أن يخون ، وإذا كان التنكير للتعميم لأنه تنكير في مقام النفي ، فؤدى الكلام أن النبوة والغلول نقيضان لا يجتمعان ، فما كان لأحد أن يظن أن النبي سوف لا يقسم بالسوية ، وإذا وقع ذلك الظن فهو من الظن الإثم : « إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ » .

وأصل الغلول من الغل ، وهو دخول

الماء في وسط الشجر كما جاء في مفردات الراغب الأصفهاني ، وسميت الخيانة في الغنيمة غلولا لأنها تدخل الملك من غير حله وفي خفاء ، كجريان الماء بين الأشجار في خفاء ، ويقال تغلغل في الشيء دخل فيه واختفى ، ويطلق الغل بكسر الغين على الحقد لأنه يكون دفيئاً متغلغلاً في كيان النفس الإنسانية ويفسدها .

٣ - وإن المعنى الذي يجرى عليه جمهور المفسرين بأن المراد بالغلول المنفى عن الرسول وسائر الأنبياء صلى الله عليهم وسلم هو الغلول المادى في شئون المادية ، ولم تتعرض الآية الكريمة للغلول المعنوى وهو كتمان ما أنزل الله تعالى وعدم بيانه ، ولكن قال بعض العلماء إن الغلول المنفى عن الأنبياء هو كتمان ما أنزل الله تعالى وعدم بيانه ، لأن الغلول المادى غير متصور الوقوع ، ولكن السياق لا يؤيد هذا المعنى ، لأن السياق كله فيما قبله وما بعده يدل على أنه في الحرب وما يتعلق بها من غنائم أغرت الرماة وأخرجتهم من محارستهم ؛ ولما يحىء بعد ذلك من تعميم الحكم لكل من يغفل غير الأنبياء من حيث أنه يأتي بما غل يوم القيامة ولذلك قال تعالى : « وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

٤ - والمعنى أن من يخون في الغنائم أو غيرها بأن يكون ذا سلطان على مال ، فيخص نفسه منه بما شاء يأتي يوم القيامة مأخوذاً بإثم ما غلَّ يوم القيامة ، صغيراً كان

إن كان بعيراً فله رغاء ، أو بقرة فلها خوار ،
أو شاة تيمع . ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي
إبطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت ، اللهم هل
بلغت » ^(١) .

والذي نراه أن هذه الأحاديث إنما هي
تصوير لما يكون يوم القيامة من أن وزره
يكون قائماً بين يديه ، وصور ما وقع وموضوع
أوزاره تكون قائمة في كتابه كأنها حاضرة
بأعيانها ، هذا هو الذي تدل عليه الألفاظ ،
ولا نقول إن حضور ذات الأشياء مستحيل
على الله ، فإن الله على كل شيء قدير ، ولكن
نقول : إن ذلك هو ما يؤدي إليه الذوق
البياني العربي - وإن ذلك يوصي إلى دقة
الحساب ، وقيام الموازين بالقسط ، ثم بين
سبحانه نتيجة هذا الحساب ، فقال سبحانه :
« ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ » .

٥ - وبعد الحساب العسير لهؤلاء الذين
يأكلون الأموال بالباطل ، ويغفلون في الفناء
ويغفلون في أموال الدولة يوفون جزاء ما كسبوا
من غير ظلم ، وفي النص الكريم عدة إشارات
بيانية ، الأولى : التعمير - ثم - وهي تفيد
التراخي بين إحضار الأعمال بأوزارها ثم يتولى
جزاءها - فإن هذا التراخي يفيد طول الحساب

(١) معنى تيعر أن تصوت صوت الغنم ، وصوت
الغنم اسمه اليعار ، والعفرة يياض مشوب بسواد وذلك
لون ما تحت الإبط دائماً .

أو كبيراً ، حقيراً كان أو خطيراً ، فالمراد على
هذا التفسير من قوله سبحانه (بما غل) وزره
وذلك كقوله تعالى : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ » فما يراه الإنسان يوم القيامة هو
عمله المبرور وعمله الموزور ، وأما موضوع
العمل فلا وجود له إذ هو يرى الوزر أو يرى
البر . وظاهر كلام المفسرين أنه يرى ذات
الشيء الذي غله ، لظاهر قول النبي صلى الله
عليه وسلم فيما رواه الشيخان : « ألا لألفين
أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له
رغاء ، فيقول : يا رسول الله أغثنى ،
فأقول له : لا أملك لك من الله شيئاً قد
أبلغتكم ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على
رقبته فرس له حمحمة ، فيقول : يا رسول الله
أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً
قد أبلغتكم ... » فإن ظاهر هذا الحديث أن
موضع الغلول يجيء بذاته يوم القيامة ، ومثل
ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
من الغلول في جمع الصدقات ، فقد روى أن
رجلاً اسمه ابن اللتبية جمع الصدقات ، ثم قال :
هذا لكم وهذا لي أهدى إلى ، فوقف النبي
صلى الله عليه وسلم خطيباً ، وحمد الله وأثنى
عليه ثم قال : « ما بال البامل نبعثه ، فيجىء ،
فيقول هذا لكم ، وهذا أهدى لي ، ألا جلس
في بيت أمه أو أبيه فينظر أيهدى له أم لا ،
لا يأتي أحد منكم بشيء إلا جاء به يوم القيامة ،

وطول الحساب عذاب في ذات نفسه ، وهو في الوقت ذاته يدل على دقته إذ تقام الموازين بالقسط . الثانية : التعبير - بتوفى - فإن فيه إشارة إلى أنه لا ينقص شيء مما عملت إن خيراً وإن شراً ، إلا أن يتغمده الله برحمته فيمفو عن بعض السيئات وهو العفو الغفور والثالثة : أنه عبر سبحانه وتعالى عن المساواة بين العمل والجزاء بقوله سبحانه « ما كسبت » فإن هذا التعبير يفيد بظاهره أن الوفاء يكون بالعمل ذاته ، ولكن المعنى جزاء ما كسبت ولكنه سبحانه عبر بهذا التعبير للدلالة على كمال المساواة بين العمل وجزائه ، حتى كأن الجزاء هو العمل ذاته . الرابعة : قوله تعالى « وهم لا يظلمون » فيه تأكيد للمساواة وفيه أيضاً نفي للظلم نفياً مؤكداً بالتعبير بالجملة الاسمية ، إذ المعنى أنهم ليس من شأهم أن يظلموا ، لأن الله تعالى خالقهم والله تعالى لا يظلم خلقه ، وليس من شأن الله تعالى أن يظلم مطلقاً ، لأنه لا يليق بكماله تعالى ، ولأنه كتب العدل على نفسه ، كما ورد في الحديث القدسي .

وإن التسوية بين الجزاء والعمل هي القانون العادل الذي سنه رب العالمين ، فلا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ولا يستوى الخير والشر ولذا قال سبحانه : « أَتَمَنِّ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ » ٦ - هذا هو القانون السامي الذي وضعه سبحانه ، وهو التساوى بين العمل

وجزائه ، وأنهم لا يتساوون في ذات أنفسهم ، وفي الجزاء إذا اختلفت أعمالهم ، ويفيد النص أن الجزاء يتحد إذا اختلف العمل ، ويختلف إذا اختلف العمل ، وفي النص الكريم عدة إشارات بيانية - الأولى - أنه ساق الكلام مساق الاستفهام الإنكارى الذى يفيد النفي أى إنكار الوقوع ، وهذا يفيد أن ذلك القانون بدى لا تختلف فيه العقول ، بحيث لو سئل كل واحد من الناس عن ذلك لأجاب بأنه لا يستوى من اتبع رضوان الله ، مع من يئو بغضب الله - والثانية - أن الله سبحانه وتعالى سمى الأمناء الذين لا يغفلون ولا يخونون في أى شيء ، وخصوصاً في الغنائم يتبعون رضوان الله تعالى ، وذلك لأنهم يخرجون مجاهدين في سبيل الحق ورفع كلمة الله وقد قدموا أنفسهم لمرضاته ، وكانوا ممن شروا أنفسهم لله ، ومن المؤمنين الذين اشترى الله سبحانه وتعالى أنفسهم ، وفي ذلك رضوان الله تعالى ، وهو أعظم جزاء في الدنيا والآخرة - والثالثة - أنه عبر عن الذين يغفلون ويخونون بأنهم يئوون أى يعودون على أنفسهم بسخط الله تعالى ، والسخط ليس هو الغضب المجرد ، بل هو الغضب الذى يصحبه أو يترتب عليه العقاب ، وفرق بين عمليتين - أحدهما - يجلب أبلغ الرضا ، وثانيهما يجلب أبلغ الغضب وأشد العقاب ، وإن ذكر هذه المقابلة ليعرف الذين يغفلون

« هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » .

٧ - الدرجة هي الرتبة والمنزلة ، ومنها
الدرج بمعنى السلم ، لأنه يُعلَى عليه رتبة بعد
رتبة ، وأكثر ما تكون كلمة الدرجة
في القرآن بمعنى المنزلة الرفيعة ، ومن ذلك
قوله تعالى : « وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ » وأما المنزلة غير الرفيعة فيعبر عنها
سبحانه بالدَّرَكَة ، ولذا يقول سبحانه :
« إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ »
ولقد قال الراغب الأصفهاني في المفردات
« الدرك كالدرج ، لكن الدرج يقال اعتبارا
بالصعود ، والدرك اعتبارا بالحدور ، ولهذا
قليل درجات الجنة ، ودركات النار » .

والضمير في قوله تعالى : « هم درجات ... »
يعود على الفريقين الذين اتبعوا رضوان الله
تعالى ، والذين اتبعوا سخطه سبحانه ،
وإطلاق درجات على الفريقين وفيهم الأشرار
من قبيل التغليب ، وهو تغليب له مغزاه ،
إذ هو تغليب الخير على الشر ، وتغليب
رضا الله على سخطه ، وتغليب الأبرار على
الفجار . وإن الآية الكريمة تشير إلى معنى
جليل ، وهو تفاوت درجات الأبرار ،
وتفاوت دركات الأشرار ، فالذين يسرون
في الخط الذي رسمه الله تعالى لطاعته متفاوتون
في مقدار ما يقطعونه من ذلك الطريق
النوراني الذي ينتهي بطاعته سبحانه وهم

بالغنائم أنهم لا يكسبون ، لأن ما يخسرونه
أضماف ما يكسبون من عرض لابقاء له ،
والعبرة بفاضل ما بين الكسبيين ، أما الذين
قد اختاروا الأمانة سبيلا ، فإنهم لا يخسرون
شيئا ، لأن مال الخيانة لا يعد كسبا ، بل هو
سحت لا كسب فيه ، ومع أنهم لا يخسرون
شيئا ، وكسبهم عظيم لاحد له ، وهو رضوان
الله تعالى - والرابعة - أنه سبحانه عبر عن
اتباع أوامر الله ونواهيه باتباع رضوانه ،
لأن الطاعة المخلصة تؤدي إلى رضوانه سبحانه
وتعالى ، فطلب رضا الله في طاعته .

ولقد عقب سبحانه ذكر سخطه بذكر
عقابه ، لأن السخط والمقاب متلازمان ،
كما أمرنا ، ولذا قال سبحانه : « وَمَأْوَاهُ
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » أي أن عودتهم بنضب
الله الشديد يتبعه حتما ذلك المصير يوم القيامة ،
وهو أن يكون المستقر الذي يستقرون فيه
وينتهون إليه ، هو جهنم ، وهي الهاوية التي
يهوون إليها في النار ، جزاء هاوية الخيانة التي
أصابتهم في الدنيا ، وبئس ذلك المصير الذي
صاروا إليه ، وكان لهم نهاية ، وإن لم
يريدوه لهم غاية .

وإن نتيجة عدم التساوي بين من يتبع
رضوان الله تعالى ويطلبه بإقامة الطاعات على
وجهها الأكمل ، ومن يختارون الشر
سبيلا - هي أن يكون الناس درجات بحسب
مقدار طلب الرضوان ، ومقدار اتباع السخط ،
ولذا قال سبحانه :

بذلك درجات عند الله تعالى بمقدار اتباعهم ما فيه رضوانه ، وهو الأوامر والنواهي ، والآخرون متفاوتون في مقدار انبوائهم في الشر بمقدار ما يخالفون أمر الله ونواهيه ، وإن تلك الدرجات متفاوتة هي نتيجة العمل ، ولذا قال سبحانه : « والله بصير بما يعملون » أى أن الله سبحانه وتعالى يعلم عمل كل إنسان علم من يراه ويصره ، فلا يغيب عنه سبحانه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ، وإنه سبحانه سيجزى كل نفس ما كسبت ، على مقتضى عمله الكامل سبحانه ، وإن هذه الدرجات التي يضع الناس فيها هي بمقتضى عمله سبحانه .

٨ - وإن النبي صلى الله عليه وسلم قد خولفت أوامره في غزوة أحد ، فنزل بالمؤمنين فيها ما نزل ، ولقد ناسب أن يبين الله سبحانه وتعالى للمؤمنين نعمته عليهم في إرسال الرسول الأمين ، ويشير إلى الهداية التي اشتملت عليها رسالته ، وأن اتباعه اتباع رضوان الله ، ومخالفته اتباع لسخط الله ، فقال سبحانه :

« لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَثَّ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ » .

لقد من الله تعالى ونعمه على المؤمنين كثيرة ، باختيار رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فلقد كان حكماً أميناً فيهم من قبل الرسالة ، وكان رفيقاً بهم لا يعنتهم بعد الرسالة ، لأن لهم ،

ولم يكن فظاً غليظاً بهم ، وفي هذا النص السامى يبين أن ذات رسالته نعمة ، فقال : لقد مَنَّ ، أى أنعم وأعطى ووهب ، وأكد عظيم المنّة والعطاء باللام ، ولقد ، وكانت منته في بعث الرسول من أنفسهم ، ومعنى من أنفسهم يصح تخريجها تخريجاً أحدها : أن يكون من نفس العرب ، ومن قومهم ، ويكون كلمة المؤمنين خاصة بمؤمنى العرب ، والثاني أن يكون من أنفسهم ، أى أنه بشر مثل سائر البشر آتاه الحكم والنبوة ، وكان رسول رب العالمين يرسم لهم طريق الهداية ويكون لهم أسوة حسنة إذ لا يمكن أن يكون أسوة حسنة لهم إلا إذا كان من جنسهم ، وكان بشراً مثلهم ، يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون ، وما يأتيه من خير يكون جنسه في طاقة البشر ، وإن كان مقام النبي فيه أعلى وأزكى وأوفر خيراً . وقد بين سبحانه وجه النعم في هذا البعث المحمدي فقال : « يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ » .

٩ - التلاوة القراءة المتتابعة المراتل التي يكون بعضها تلو بعض ، أى يعقبه في نظام محكم دقيق ، والتلاوة في أكثر أحوالها لا تكون إلا في آيات مقروءة ، والآيات تطلق على الآيات الكونية باعتبارها أمانة وشاهداً على قدرة الله تعالى ووحدانيته ، وتطلق على الآيات المتلوّة باعتبار أن كل آية من كتاب الله تعالى دليل على أنه من عند الله ، وظاهر

السياق أن الآيات التي تتلى هنا هي الآيات القرآنية ، والمعنى في ذلك أن الله سبحانه يلقى على نبيه القرآن الكريم فيتلوه عليهم متحدية العرب أن يأتوا بمثله ، وقيل إن المراد بالآيات الآيات الكونية ، ومعنى تلاوتها تلاوة القرآن المشتمل على أنبائها ، وعلى توجيه الأنظار إليها ، وإن الظاهر هو الأول ، ولا يخلو الرأي الثاني من تكلف ، وإنه من أعظم من الله أن يخاطب المؤمنون بكتاب يتلى عليهم من السماء ، وأن يوجه إليهم الخطاب مباشرة من الله تعالى .

والتركية هي العمل الثاني من عمل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي تطهير نفوس المؤمنين من أدران الجاهلية ، وتنميتهم وتقويتهم ، فالرسالة المحمدية كان آثارها في المؤمنين تنجيه إلى ثلاث نواح : تهذيب نفوسهم أحادا ، والربط بين قلوبهم جماعات ، والعمل على رفع شأنهم والتمكين لهم في الأرض بأسباب القوة ، كما قال تعالى : «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» وكلمة « ويزكيهم » تشتمل على كل هذه المعاني التي ترفع من شأن أهل الإيمان .

وتعليم الكتاب هو تعليمهم ما اشتمل عليه من أحكامه ببيان ما عساه يكون فيه من نصوص تملو على مداركهم ، وتفصيل الجممل فيه ، وتطبيقه عليهم ، فتعليم علم

الكتاب غير تلاوته ، إذ تلاوته قراءته مرّ تلا مفهوما ، وتعليمه بيان أحكامه ، فقد أمر بالصلاة ، والنبي علمها ، وأمر بالحج ، والنبي علمه ، وهكذا ، وقيل إن تعليم الكتاب هو تعليم المؤمنين الكتابة ونقلهم من الأمية إلى العلم ، فتعليم العلم في ذاته غاية من غايات الإسلام ، ولذا كانت أولى آيات القرآن : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » وتعليم الحكمة ، فسر الشافعي بأنه

تعليم السنن العملية ، ويصح أن تفسر الحكمة بما هو أعم من ذلك وأشمل ، وتشمل العلم بأمرار الكون ، وأسرار النفوس ، والسلوك القويم الذي يسدّد الخطأ في الدنيا ، ويرضى الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة . « وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » ١٠ - أي إن حال الناس ، وخصوصاً

العرب ، أنهم كانوا من قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم في ضلال واضح بين ، تنفر منه العقول المستقيمة وتآباه الأذواق السليمة ، ألم يكن العرب في عياء من أمورهم متناهذين متدابرين يثدون بناتهم ؟ وألم تكن فارس في اضطراب وزاع وانحلال ؟ وألم يكن الرومان ومن أخضعوهم في طغيان واضطراب عقائد ؟ كل ذلك كان وقت أن بزغ فجر الإسلام . اللهم آمين علينا نعمة الهداية والتوفيق .

قضاء العالم لا يحسن حراما ولا يحسن حلالا

روى البخارى ومسلم عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم يباب حجرته فخرج فقال : إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادق ، فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليركها .

أقله موت الروح الأدبي ، والقضاء على الحياة بالإهانة والتحقير .

فالؤمن الحق هو الذى يصنى إلى ضميره إذا ناداه ، ويجيب داعى وجدان الحق إذا هتف به ، فلا يفتى بحكم قاض إذا كان هو يعلم أن الحق غيره ، ولا يأخذ بفتوى مفت مادام هو واثقا من أنها لم تصادف الصواب ، فإن القاضى إنما يحكم بما له من أدلة ظاهرة ، والمفتى إنما يفتى بما قدم له من وقائع مصورة .

أما حقيقة الواقع فلا يعلمها إلا صاحبها فإذا ما نال حقا ليس له أو اغتصب أمرا لا يملكه فلن ينفعه من عذاب الله قضاء قاض ولا فتوى مفت .

المعنى :

هذه قصة الضمير الإنسانى أراد رسول الله صلوات الله عليه أن ينبّه أمته إلى حكمه وهديته ، وأنه المرجع فى الهداية والضلال ، وأنه المسئول عن الأعمال ، وهو السراج الذى أقامه الله فى صدر كل إنسان (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) .

فالضمير هو القاضى الذى يقاضى المرء على عمله ، كما أنه مصدر المكافآت والعقوبات ومنظم السلوك ، ومقوم الاعوجاج ، وأنه لا يمكن مخالفة ما يميله على صاحبه إلا بضمن

لذلك أوجب الإسلام محاسبة النفس
وتمرينها على التمييز بين الحق والباطل
والصواب والخطأ ، وتمويدها البعد عن
مواطن الشبهة ومواقف التهم : قال صلى الله
عليه وسلم : « الحلال بين والحرام بين وبينهما
أمر مشتبهُه فمن ترك ما شبّه عليه من الإثم
كان لما استبان أترك ، ومن اجتراً على
ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع
ما استبان ، والمعاصي حى الله (الحمى هو
الشيء الحمى المحذور) من يرتع حول الحمى
يوشك أن يقع فيه) .

وقصة هذا الحديث أن جماعة من
الصحابه أخذوا يختصمون عند باب حجرة
النبي صلى الله عليه وسلم في موارث وأشياء
قد درست وليست لهم بنية . فقال لهم
الرسول : (إنما أنا بشر) أى مشارك للبشر
في أصل الخلقة ولو أنه يزيد عليهم بالمزايا التي
اختصه الله بها في ذاته وصفاته ، ولكنى
لا أدري باطن ما تتحاكون فيه عندي
وتختصمون فيه لى ، وإنما أفضى بينكم
على ظاهر ما تقولون فإن الأنبياء لا يعلمون
من الغيب إلا ما أعلمهم به الوحي وإن الرسول
إنما يقضى برأيه فيما لم ينزل عليه فيه وحى
ولو شاء الله لأطلع رسوله على باطن الأمر .
فمن قضيت له من حق أخيه شيء فلا يأخذه
فإنما هو قطعة من النار . وهذا تمثيل يفهم
شدة التعذيب ، وهو كقوله تعالى :
(إِنَّمَا يَا كُؤُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا) .

أرأيت إلى رسول الله صلوات الله عليه كيف
يشير في الحديث إلى أسلوب سام في التربية ،
ومبدأ سليم في الإرشاد ، وهو الرجوع إلى
سلطان الضمير وحده ، والاحتكام إلى نور
الوجدان الباطنى والإلهام الصادق القلبى .
روى الإمام أحمد عن وابصة بن معبد قال :
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
جئت تسأل عن البر . قلت : نعم . قال :
استفت قلبك ، البر ما اطمأنت إليه النفس
واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في
النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك
الناس وأفتوك .

أما الذين لا ضمائر لهم بأن أطفئوا
نور الله في باطنهم فأظلمت وجداناتهم
وأعتمت سرائرهم فأولئك يجرون في عنان
الشهوة ويركبون مطية الهوى ولا يصدزون
في أعمالهم إلا عن باعث من الأثرة وحب
النفس ، ثم هم يعلمون أنهم على خطأ
ولا يبرحون من لدع ضمائرهم في نصب
وقانون العدالة يصرخ في باطنهم فيؤمنون
بأنهم مخطئون وفي حق أنفسهم ظالمون ،
ولكن سلطان الهوى وقلة الرادع الدينى
وما نجم بين هذا أو ذاك من طول معاودة
المنكر قد فل من شبا عزيمتهم وحطم من
قوى مقاومتهم ، حتى أصبح الإثم لهم عادة
وارتكاب الجرائم لهم طبعاً ، فهؤلاء قد
ختم الله على قلوبهم بأفعالهم وعلى أبصارهم
غشاوة لتماذيرهم في الباطل فهم يعمهون .

ومنها أن بعض الناس أدري بمواضع
الحجة وتصرف القول من بعض وأن القاضي
إنما يقضى على الخصم بما يسمع منه من إقرار
وإنكار أو بينات على حسب ما أحكمته
السنة في ذلك .

قال العيني في شرحه للبخارى :
وزاد عبد الله بن رافع في آخر الحديث
في رواية الطحاوى بمد أن قال : « فليأخذها
أو ليركها » : فبكي الرجلان وقال كل
واحد منهما : حق لأخي . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أما إذ فعلتما هذا فاذهبا
فاقتسما وتوخيا الحق ثم استهما (أى اقترعا)
ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث :
« فليأخذها أو ليركها » ليس معناه التخيير
بل هو التهديد والوعيد كقوله تعالى :
(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ)
يفهم من هذا الحديث أمور :

منها : أن البشر لا يعلمون من الغيب
وبواطن الأمور شيئاً إلا أن يطلعهم الله تعالى
على شيء من ذلك .

وأنه يجوز على الرسول في أمور الأحكام
ما يجوز على بقية البشر وأنه إنما يحكم بين
الناس بالظاهر والله يتولى السرائر فيحكم
بالبينة واليمين ونحو ذلك من أحكام الظاهر
مع إمكان كونه في الباطن خلاف ذلك .



من سحرة القلوب

في المقال السابق بدأنا نقصد مقايضة وجيزة بين ما جاء به الإسلام من السباحة واليسر وما أرهقت به البشرية بما ورد في الأديان الأخرى من الشدة والقسوة ولم يكن من قصدنا أن نأتى على جميع الفروق في هذا الباب ولكننا نلجأ إلى ذلك إلماعاً لا نبتغى به الدفاع عن الإسلام وإنما أردنا أن نقول إن الإسلام جاء بأكمل النظم وأحكم القواعد وقد أرسل الله رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن دخل الناس في سن الرشد الديني والسياسي وأصبحوا يفهمون الحق والباطل ويفرقون بين الرحمة والقسوة واستحوذ عليهم سلطان الضمير بعد أن كانوا لا يخضعون إلا لسلطان السيف والسياط وحينئذ فقد استعدوا لهذا الدين القويم وتهيات نفوسهم لقبول ذلك الوحي المضيء العادل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : وإني لأعلم وكل منصف يعلم أن هذا الدين جعله الله خاتم الأديان وشرعه عاماً لجميع بني الإنسان وباقياً إلى أن ينتهي

هذا الزمان بأهله ولا يعقل أن يكون دين بهذه المثابة إلا أن يكون من المناعة بحيث لا يستطيع هدمه ومن استيعاب الحجج ومسايرة مذاهب العقول في الأحكام والاستدلال عليها بمنزلة لا تصل إليها شبهة ولا تلين قناتها لغامز .

وإني إذا وازنت بين ما جاء به من عدل ونصفه وما جاءت به الأديان الأخرى من إرهاب وجور فإنما أقصد أن أشرح مسائل علمية وأقرر حقائق ثابتة لا محل للريبة فيها ليصل صوت الإسلام إلى الذين لم يسمعوا به من قبل وليعرف هذا الدين من لم يكن يعرفه .

قال موسى لقومه (كل مكان تدوسه أقدامكم يكون لكم) ومعنى هذا أنهم يستبيحون نهب الأرض من أهلها وحرمان سكانها من استثمارها ولكن الإسلام أبت عليه سماحته إلا أن يكون رحب الذراع لا يفتصب أرضاً ولا يحرم أحداً من ثمرة فقد شرع المسلمون ترك الأرض لأهلها وفرضوا

عليها خراجا ينفقون منه على إصلاحها وفرضوا على من يقطنها جزية يمنون بها المحاربين في الجيش لإقرار الأمن وإقامة العدل وحماية البلاد وحراسة الثغور حتى لا يقتحمها عدو ولا ينفذ إليها طامع ونحسب أن أحداً من الغلوين في أى أمة لا يطمع في عدل فوق هذا المدل مهما اختلفت به الأزمنة أوتباينت الديار .

أما حفظ اليهود ووجوب العمل بها في شريعة موسى فذلك محصور بالعهود المعقودة بين بني إسرائيل فقط ولا يجب على إسرائيل أن يحتفظ بعهود مع العدو أو المحارب وكأنهم بهذا لا يعترفون لشعب من الشعوب بحق ولا يقيمون للناس من غيرهم وزناً فإذا تعاقدوا مع غير بني إسرائيل فإنما هي خديعة يقصدون بها الغدر أو كلام زائف يضمرون في نفوسهم نقضه متى رأوا لذلك طريقاً .

ضع هذا أمام عينك ثم اقرأ الصحائف المشرقة التي جاءت في الإسلام عن الوفاء بالوعود ثم تحدث عن سماحة الإسلام بما شاء لك الحديث وبما طاوعك البيان وإنك لتعلم أن وجوب الوفاء بالعهود في الحرب والسلام وتحريم الخيانة فيهما سرا وجهراً كتحرير الخيانة في كل أمانة مادية أو معنوية من أحكام الإسلام القطعية والآيات في ذلك متعددة لا تدع مجالاً لإباحة نقض العهد والخيانة فيه وقت القوة وجعله قصاصة ورق عند إمكان

نقضه : ومن هذه الآيات قوله تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) الآية . جمع فيها سبحانه بين الأمر بالإيفاء بالعهود والنهي عن نقضها ثم أكد ذلك بالمثل البليغ في قوله : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَصَّتْ غَزَاهُمْ) فأشار بهذا المثل إلى أن نقض العهود مخل بما توجبه العقول السليمة والفطر المستقيمة كما يخل بمقتضيات الدين الإلهي وأوامر الوحي السماوي ودل هذا التمثيل البليغ على أن ناقض العهد لا يتمتع بشيء من أصالة الرأي ولا من الفكر الراجح فإنه كالتى تنقض غزوها من بعد قوة أنكاثا وهذا أفن في العقل لا يرتضيه لنفسه إنسان إلا إذا هبط إلى حضيض من الجهالة وتخبط في ظلمات من الضلالة .

وقد وصف الله المؤمنين الأبرار بقوله في آية البر (وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) وعاب اليهود الذين نقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعلهم من شر الدواب ولما أمر بنذ عهود المشركين الذين نقضوا عهد النبي والمؤمنين استثنى منهم ما ذكر في الآية الكريمة :

(إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)

وبلغ من سماحة الإسلام أن الله تعالى لم يبح لنا أن ننصر إخواننا المسلمين غير الخاضعين لحكمنا على الماهدين لنا من الكفار كما قال (وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) فهل ترى وفاء بالعهد وسماحة في المعاملة أعظم من هذا في حكومة دينية أو دنيوية اللهم إن هذا هو حكم الإسلام وهو دين أعدل العادلين ونحن لا نريد أن نبخس الناس أشياءهم ولا نعيب أديانهم ولكنه الواقع نقره ليعلم البشر جميعاً أن هذا الدين جاء به خاتم الرسل أجمعين للناس بعد أن أنسوا بالوحي على ألسنة الرسل السابقين فاستعدوا بالرسالات السابقة لأكل دين وأعلى نظام فإذا كنا نساق إلى المقارنات فإنه شرح وبيان نضطلع بهما ليدرك أولو الفهم وأرباب الرغبة في المعرفة أن الله تعالى لم يترك عباده في إصر الشرائع السابقة بل أدركهم برحمته وشملهم بنوره حتى مهد لهم رفقة العيش ورغد الحياة وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة وأولاهم فضله المبين فإن كنت في ريب فقلب صفحات التاريخ فإنك ترى أمماً في الأرض كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها تراقب أعمال أهلها وتخصمهم دون الناس بصنوف من المعاملات لا يَحتملها الصبر مهما عظم حتى إذا تمت لها القدرة على طردهم بعد العجز عن تحويلهم عن دينهم أجلتهم من ديارهم وغسلت الديار من آثارهم كما حصل

ويحصل في كل أمة استولت عليها أمة تزعم أنها تدين المسيحية لا يمنع غير المسيحي من عدوان الفاصبين إلا كثرة العدد أو شدة العصد وكانوا يقولون إن عيسى عليه السلام ما جاء ليلقي سلاماً بل سيفاً ولأنه جاء يفرق بين البنت وأمها والابن وأبيه .

وانظر هذا ثم استعرض نصوص الإسلام واقراً في خشوع قول الله تعالى في كتابه المبين : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) واذكر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نهى أن يفرق بين الأم وولدها في السبايا من بنى قريظة وقال لا يفرق بين الأم وولدها وهو يقول : (من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة) وقد كان من سماحة الإسلام أن يكتفى من الفتح بخضوع الأمم المفتوحة لسلطانه السياسي ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون ما يجب عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد يمارسون شعائر دينهم في ما بدعهم أحراراً وهم في عاداتهم لا يضايقون في عمل ولا يضامون في المعاملة وكان خلفاء المسلمين يوصون قوادهم باحترام العباد الذين انقطعوا عن العامة في الصوامع والأديار لمجرد العبادة كما كانوا يوصونهم باحترام النساء والأطفال وكل من لم يساعد على القتال وجاءت نصوص الإسلام

الحاسمة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة
وتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين (لهم
ما لنا وعليهم ما علينا) و (من أذى ذمياً
فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم
القيامة) .

ومهما نسينا هذه الأوامر . فلن ننسى
ما كتبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى
سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه يقول : نـح
منازل جنودك عن قرى أهل الصلح والذمة
فلا يدخلها من أصحابك إلا من ثق بدينه
ولا يرزأ أحد من أهلها فإن لهم حرمة وذمة
ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما
صبروا لكم ففوالهم) .

ففي هذا الأمر الصريح لا يكتفى أمير
المؤمنين ابن الخطاب بالتوصية الحسنة بأهل
الصلح والذمة بل تجاوز في الرقي بهم العهود
المبرمة بينهم وبعبّر هذا الخليفة الجليل في
كتابه عن ثقل وطأة الفاتحين على أهل البلاد
ومرارة نفس الغالب في عدم الاعتداء على
مغلوبه فقال لقومه إنكم ابتليتم بالوفاء بحرمة
أهل الصلح وذمتهم كما ابتلوا أيضاً بالصبر
على تغلبكم وتحكمكم بهم في بلادهم فعليهم
الصبر وعليكم الوفاء وقد كان ذلك نهج
الحكام المسلمين هذبهم الإسلام بهذيه
وأدبهم بأدبه فامتلات نفوسهم بسماحة
الإسلام وكانوا دائماً مأخوذين بذلك الشعور
الديني الكريم وحريصين على سلامة الآخرة
فجعلوا رائد هم تقوى الله والعمل على ما ينالون

به ثواب الخلود والمرتبة العالية في الجنة
بالتزام العدل والرحمة والبعد عما يشوب طهارة
النفس وفضائل الأخلاق ومن هذا تدرك
سماحة الإسلام مع الناس الذين يرفضون أن
يعتقوه فهو يكتفى منهم بشيء من المال قليل
يؤدونه لأمنهم وصيانة أموالهم وبأن يعيشوا
في هدوء لا يمكرون صفو الدولة ولا يحاربون
سلطان الحاكمين وعلى الحاكمين أن يرخوا
لهم بعد ذلك عنان الاختيار في شئونهم
الخاصة بهم لا رقيب عليهم إلا ضمائرهم ثم
هو ينهى أفراد المؤمنين عن مقاطعة ذوى
قرباهم من المشركين ويطلبهم بحسن معاملتهم
ففي طبيعة هذا الدين أن يكل أمر الناس في
سرائرهم إلى ربهم وفي طبيعة هذا الدين أن
يجير من لا يعتقد عقيدته ويحمى من لا يتبع
سنته وإن ظلوا في ضلالهم يعمهون وفي ربهم
يترددون فكل إنسان في أمن من أن يعرض
له الإسلام إلا أن يحدث شغباً أو يفسد أدبا
فعمد ذلك تمتد يد السلطان لرد كيد الكائدين
وإصلاح الفاسدين بسلاح الدين بذلك قضى الله
في كتابه فقال لرسوله فيما أنزله عليه من محكم
الآيات (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) .

الندوة الإسلامية العالمية بلاهور

والعبرة بالمعانى والحقائق . وقد كبر على الكاتب أن يسميها ندوة ، فسمّاها «مأساة» لأننا وأولئك الأخيار دعينا إليها، وتعاوننا على كلمة الحق فيها ، كأن هذا الكاتب وأشباهه والمستشرقين هم وحدهم الذين يفهمون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى رسالة الإسلام ، وهم وحدهم الذين يفسرونها ويبنونها . ولقد صدرت مجلة وزارة الأوقاف المغربية المقال بتلك الكلمات :

« تفضل » الأستاذ محجوب بن ميلاد ، فبعث لنا بهذا المقال « القيم » الذى كتبه بعد عودته من باكستان ، حيث مثل تونس فى المؤتمر الإسلامى بلاهور ، وقد طال تردد قلم التحرير أمام بعض الفقرات من المقال التى انتقد فيها حضرة الكاتب بعنف مواقف بعض الممثلين لأقطار إسلامية أخرى فى المؤتمر ، لكننا قررنا أخيراً أن ننشر المقال كاملاً ، شاكرين لحضرة الكاتب التونسي الكبير ، ولكي تتيح فى نفس الوقت لحضرات السادة الذين تناولهم الكاتب بالنقد أو لغيرهم فرصة الرد » . ويلاحظ أن المقال

١ - فى نهاية ديسمبر من العام الماضى انمقدت بلاهور ندوة إسلامية حضرناها وحضرها ملاً كبير من المستشرقين وممثلون من نحو أربعين دولة ، وقد كان حضورنا هذه الندوة بدعوة خاصة شخصية من جامعة البنجاب ، وتكليف من الحكومة المصرية ، فما كان يسعنا إلا أن نجيب ، وقد أشرنا إشارات موجزة إلى بعض ما كان فى هذه الندوة فى عدد من مجلة اللواء ، كتبناها فى مقال إثر حضورنا ، ونعود الآن إلى الكلام فى هذه الندوة مضطرين ، ونشير إلى جهود اشتركنا فيها مع طائفة من إخوان كرام من سوريا ، ذلك لأن مجلة « دعوة الحق » التى تصدرها وزارة الأوقاف المغربية نشرت مقالا لكاتب من تونس اسمه محجوب بن ميلاد ، ولا ندرى أهو مسلم أم غير مسلم^(١) ، لأن الاسم يكاد يكون من أسماء غير المسلمين ، وعلى أى حال فظاهر الاسم قائم فى معنى المسمى ، كما يدل على ذلك الكلام الذى كتبه

(١) أخبرنا بعض أصدقائنا الجزائريين أن أبويه مسلمان ، وأنه بحكم إسلامهما مقيد فى مواليد المسلمين

نشر في عدد سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، ولم له لم يخرج إلا في أكتوبر سنة ١٩٥٨ .

٢ - والمقال يقوم على جزئين :

أحدهما : بيان تناحر الإنسانية وأن الأديان هي التي تنهى هذا التناحر ، أو تخفف حدته ، وأن الإسلام يسهم في هذا بحظ أوفر ، وقد بين ذلك في مقدمة بحثه ، وذكر أن تلك هي المشكلة التي انعقد المؤتمر لحلها وسرد في أثناء كلامه موضوعات المؤتمر ، ومن بينها الاجتهاد الفقهي وأدواره ، ونقص من موضوعات المؤتمر بعضها كأحكام الأراضى في الإسلام ، والوحدة الإسلامية . والجزء الثاني سبب لنا وطمع في أشخاص هم أصدقاء لنا ، لا نذكر أسماءهم كما ذكرها ، حتى لا يكون في كلامنا نقل لفسوق القول ، والسبب الذي برّر في نظره ذلك السبب أننا وإخواننا تهجمنا على مقام المستشرقين ومن لف لفهم ، واتبعهم واتخذهم أئمة في الإسلام ، وإليك كلامه فينا ، وهو نموذج لما قاله في غيرنا فقد قال : « وإنه لمن المضحك جداً أن نشاهد الفقيه المصرى أبا زهرة ، وهو البعيد كل البعد عن تصور حقيقة المشكلة يشارك في المؤتمر ، فيناقش ويجادل ويهاجم ، وتنتفخ أوداجه حقيقة لا مجازاً دفاعاً عن القيم الإسلامية ، ويتناول فيلقى الدروس على أمثال الدكتور خليفة عبد الحكيم » . ويستكثر على بعض إخواننا أن يهاجم المستشرق الأمريكى

«الدكتور غوستان نون غروبنوم» وبسبب ذلك التهم من إخواننا على المستشرق الأمريكى المذكور يسترسل الكاتب الكبير في نظر مجلة وزارة الأوقاف المغربية في سبب استعرق عموداً كاملاً وبعض الآخر ، ولنضرب مثلاً من عبارات جاءت في ذلك المقال الذى سمته المجلة قيماً - إذ جاء فيها : « هذه العقول العامية المنحرفة » .

٣ - كان الذى نالنا وإخواننا منه سبباً لا نقد فيه ، فلم يذكر موضع الخطأ منهم ووجه الخطأ ، بل كل كلامه فسوق من القول يقصد به تقديس المستشرقين وخصوصاً الأمريكان ، وتجريح من ينتقدونهم ، ولسنا نريد في هذا المقال أن نرد قوله ، فإننا لا نبادل السبب بمثله ، وكل يعمل على شاكلته ، ولأننا لا نعرفه ولم نجس به في المؤتمر ، فهو مجهول الحال عندنا ، فلو أردنا السبب ما وجدنا موضوعه ، ولو وجدنا موضوعه وأردناه لاختارنا المجلة التي تصدرها وزارة الأوقاف المغربية ، وما كنا لنختار مجلة لواء الإسلام النزيهة العفيفة التي لا تنشر إلا الكلام الطيب ، لأن أصحابها من الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى : « وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ، وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ » .

ولسنا نقصد بما نكتب الجدل ، فإن الجدل يفسد الحقائق ، والدين أعز علينا أن يكون موضوع جدل ، ولقد كان الإمام مالك

يقول : « كلما جاء رجل أجدل من رجل نقص مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم » . ولقد كان أبو جعفر الإمام محمد الباقر ينهى عن الخصومة في الدين ويقول رضى الله عنه : « إياكم والخصومة في الدين فإنها تحدث الشك ، وتورث النفاق » .

ولكننا نقصد إلى ذكر بعض ما جرى في المؤتمر مما اضطرنا وأصدقاءنا أن نتكلم ، ونثير حقد أتباع المستشرقين ، ونتعرض لما قالوا وما كتبوا .

٤ — لقد وقف بعض الذين يقدرهم محبوب بن ميلاد يقول إن الإسلام ليس فيه رجال دين ، وإن القرآن ليس كتاب أحكام ، وإن الإجماع ليس إلا إجماع أعضاء مجلس النواب ؛ فهل هذا هو الحق الذي جاء محمد به ؟ وقد اضطررنا وإخواننا أن نبين ما نعرف أنه الإسلام في هذا الأمر ، فقلنا مع أصدقائنا ، بالنسبة لرجال الدين : إن كنتم تريدون أنه ليس في الإسلام رجال دين بمعنى أنه ليس في الإسلام من يتوسط بين العبد والرب ، ويتشفع للناس ، ويعطى صكوك الغفران لمن أحب ، ويعتبر تفسيره للإسلام تزيلاً لا يقبل تأويلاً — فذلك حق لا ريب فيه ، لأن القرآن الكريم قال فيمن فعلوا ذلك : « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ » وإن كنتم تريدون بقولكم هذا أنه ليس في الإسلام من تخصصوا في استخراج الأحكام من القرآن والسنة وبناء

أحكام الوقائع عليهما — فذلك باطل لا ريب فيه ، لأن القرآن الكريم يقول : « فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ » ولأن القرآن لم يفرض في كل مؤمن أن يعلم طريق الاستنباط ، وفيهم الأحكام ، فقال سبحانه : « وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رد الله به خيراً يفقهه في الدين » والصحابة والتابعون كان فيهم الفقهاء المفتون الشارحون كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وفيهم السائلون المستفتون ، ولقد قسم الشافعي علم الإسلام إلى قسمين « علم العامة » وهو الذي لا يسع مسلماً أن يجمله كأصول الفرائض ، وأركان الإسلام والذي لا يعدم المسلم مسلماً إلا إذا قام بها . والقسم الثاني « علم الخاصة » وهو الذي يكون باستخراج الأحكام العملية التفصيلية من أدلتها ، وإن أولئك المتخصصين في دراسة الأحكام واستنباطها من ينابيعها كالشافعي وأحمد ومالك وأبي حنيفة وزيد بن زين العابدين ، ومحمد الباقر وجعفر الصادق — لا يفرضون ما يقولونه صواباً لا يحتمل الخطأ ، بل يفرضون في أقوالهم الخطأ ، ولا يسمحون لأحد أن يأخذ كلامهم إلا إذا عرف دليلهم ، فما كان قولهم

أو كالتناع ، ونظم التورث نظاماً لم يأت بمثله
أو بقريب منه أى قانون وضعى إلى الآن ،
وذلك باعتراف كل علماء القانون فى العالم ،
ومهما يحاول العقل البشرى أن يبحث عن
أمثل منه وأعدل فلن يجد ، وبين العلاقات
الدولية بين المسلمين وغيرهم ، وتعاون والسنة
فى تفصيل أحكام الحروب والمعاهدات .
ولذلك أعلننا فى قول لاعوج فيه أن قصر
القرآن على الآداب والمواعظ باطل ، يكذبه
القرآن .

ولعل الذى أغضب الذين يتبعون أقوال
المستشرقين من غير علم ولا سلطان مبين —
هو أن دعوى أن القرآن كتاب مواعظ فقط
ذريعة لإنكار الأحكام القرآنية أو اعتبارها
إرشادات غير ملزمة ليتحللوا من الأحكام
الإسلامية ، فكان ردنا عليهم قاطعاً لهذه
الذريعة .

٧ — ولقد قلنا مع أصدقائنا الذين
اشتركوا معنا فى تلقى سبَاب عبدة المستشرقين
بالنسبة لادعاء أن إجماع مجلس نيابى هو
الإجماع : إن ذلك ليس هو الإجماع الذى قرره
فقهاء المسلمين ، واستنبطوا حكمه من الكتاب
والسنة ، وقد كان الواجب يفرض علينا أن
نشرح معنى الإجماع ، وأن نتناول فنلق بياناً
على أمثال الدكتور خليفة عبد الحكيم ،
الذى لم يُبد لنا صفحته على النحو الذى صوره
محجوب بن ميلاد ، وقلنا إن الإجماع هو

فى الدين إلا بينة ، وما كانوا يرجعون
أقوالهم إلا إلى أصول بينها ، ونصوص
محكمة وضوحها ، ومن اقتنع بقولهم ممن هو
فى مثل علمهم أخذ به ، ومن لم يقتنع وعنده
دليل أقوى خالفهم من غير افتراق أو نزاع ،
بل هو دراسة للحق من كل وجوهه ،
وما كانوا يرون على أنفسهم من غضاضة فى
أن يختلفوا ما داموا يلتزمون الحق من
ينابيه الصافية .

فهل كننا فى هذا آتمين ؟ — اللهم ربنا
أفرغ علينا صبراً على مثل ما جاء فى مجلة
وزارة الأوقاف المغربية .

٦ — وقلنا مع أصدقائنا بالنسبة لكون
القرآن كتاب آداب ومواعظ وليس كتاب
أحكام فى نظر القائل : إن القرآن قد اشتمل
على أمثل ما تقرره الأخلاق الفاضلة ، حتى لقد
وصفت عائشة رضى الله عنها أخلاق النبى صلى
الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن ، ولكن
مع ذلك اشتمل القرآن على الأحكام الإسلامية
كلها بالإجمال والكتليات أحياناً ، وبالتفصيل
أحياناً أخرى ، فأصول المعاملات المالية ثابتة
فيه بمثل قوله تعالى : «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ
تَرَاضٍ مِنْكُمْ» . وقد صرح بتحريم الربا تحريماً
قاطعاً لا مجال للريب فيه ، وأمر بكتابة الديون ،
وفصل القول تفصيلاً فى نظام الأسرة ، فنظم
الزواج ، وبين المحرمات بالتفصيل ، وهدم النظم
الجاهلية التى كانت تجمع المرأة متاعاً

وإن تضايق الكثيرون من المستشرقين وأتباعهم من قولنا .

ولقد كانت أخطاء المستشرقين في نظرنا كثيرة ، وكان علينا نحن الذين ندرس القرآن والسنة والفقه الإسلامى أن نصحح بعض هذه الأخطاء ، فقد وقف مستشرق أمريكي يقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اختلاف أمتي رحمة » وكان علينا أن نبين أن هذا الكلام لا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يقله ولم ينسب إليه ، وإن كان هذا في الكتب الأفرنجية حديثاً منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو حديثهم وليس بحديث عند أهل الإسلام ، ولم نضن عليهم بشرح الأصل لهذه الكلمة فقلنا إن مثل هذه الكلمة جرت على لسان الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إذ قال في اختلاف الصحابة : « مايسرنى باختلافهم حمر النعم ، ولو كان رأيا واحدا لكان الناس في ضيق » فاعتبر اختلاف الصحابة يسر على الناس الاتباع ، فيختارون من أينها أسهلها ، فسرت هذه الكلمة إلى العامة ، وقالوا عن اختلاف أئمة الفقه الإسلامى : اختلافهم رحمة .

وإذا كان كلامنا هذا يفضب عبدة المستشرقين من الأمريكان فاللهم زدهم علينا غضبا ، فإننا نعلم أن في غضبهم رضاك .
٩ - ولقد وقف مستشرق أمريكي آخر

اتفاق مجتهدى المسلمين في عصر من العصور على حكم من الأحكام بسند شرعى من كتاب أو سنة ، أو قياس صحيح سليم على قول بعض الفقهاء - فالإجماع لا يكون إلا من خاصة المؤمنين وهم المجتهدون ، ولا بد أن يقوم على أصل ديني ، وإجماع مجلس النواب لا يستوفى هذين الشرطين ، لأنه أولا ليس إجماع كل المجتهدين ، بل هو إجماع إقليمى ، وثانيا لا يعتمد على نص من كتاب أو سنة ، أو قياس على الكتاب والسنة ، وثالثا ليس إجماع المسلمين ، لأن المجالس النيابية فيها دائما المسلم وغير المسلم ، فكيف تدخل غير المسلم في إجماع علماء المسلمين ؟ ذلك كلام بين واضح . وقلنا إن الذين يريدون أن يتخذوا إجماع المجالس النيابية إجماعاً لا يكتفون بذلك ، بل يقررون أن الإجماع يغير الأحكام الإسلامية ، فكأنه على قولهم هذا تستطيع المجالس النيابية أن تلتفى الأحكام الشرعية كلها إجمالا وتفصيلا ، وقد أشرنا إلى كل هذا ، فإن كان عبدة المستشرقين يستثقلون ذلك الكلام ، فإننا نضرع إليه سبحانه أن يجعله عليهم كالجبال ، أو يهديهم ، وهو الهادى إلى طريق مستقيم .

٨ - وإن الحق يتقاضانا أن نقول إن قائل هذه الأقوال التى فندناها ، وقف واعتذر عن قوله ، وصرح في غير موارد بأنه يؤمن بأن القرآن تسرى أحكامه في كل شيء ، حتى في آدابه عند تناول طعامه على مائدته ، وحمدنا له ذلك ، وارتبطت بيننا وبينه صداقة ،

على من يعلم علما .

١٠ - ولقد وقف باكستاني ينكر النبوات ، وينكر بشكل خاص نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فادعى أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يعلم بقصص النبيين الذين اشتمل القرآن الكريم على أخبارهم قبل البعث المحمدي وأنكر اختصاص أنبياء الله تعالى بالوحي وأنكر أن تكون الأحكام القرآنية بوحى من الله تعالى ، بل هي من عند النبي صلى الله عليه وسلم ، واسترسل في هذا الكلام وأشباهه استرسالا ضج منه أكثر الذين استمعوا إليه وقرءوه ، فهل لنا أن نسكت على هذا القول ؟ لقد وقفنا وبيننا أن ذلك كلام باطل ، وأنه ليس من الإسلام في شيء وإن كان قائله قد سماه أبواه « خالدا » ولقد جاد على النبيين الذين ذكرهم القرآن ببعض الغمزات ، وذكر أن القرآن اعترف باليهودية القائمة وغيرها ، وأنه لا فارق بينهما .

قلنا إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وما كان في مكة علم ولا معاهد لللاهوت تدرس فيها أخبار النبيين ، ولا ينافي كمال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يجهل هذا ويجهل الكتابة والقراءة ، فليس كماله في هذا ، إنما كماله في أن جنبه ربه الهوى وعبادة الأصنام وزهه عن ارتكاب المعاصي ، حتى ساغ له أن يقول

يقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تتغير الأحكام بتغير الأزمان » فلم يسعنا إلا أن ننكر أن يكون هذا حديثاً نبوياً ، وأنه لم يدون في أى كتاب إسلامي يصدر باللغة العربية على أنه حديث نبوى ، ولم نضن عليهم ببيان أصل هذه الكلمة ، وذلك أن الإمام مالكاً رضى الله عنه قال : « يحد للناس من الأقضية بمقدار ما يحدثون من أحداث » وقرر فقهاء المذهب الحنفي أن الأحكام التي لم ترد فيها نصوص ، واستنبطت الأحكام فيها بالقياس ، إذا خالفها العرف يتبع العرف باعتبار أن العرف أصل فقهي في غير موضع النص من كتاب أو سنة ، وذلك لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه قال : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » ، ولا يمكن أن يرى المسلمون أمراً حسناً وقد نص القرآن أو الحديث على قبحه ، وفوق ذلك فإن الشروط في تفسيرها ، والأيمان في تعيين المراد منها والعقود في العرف مقاصد العاقدین فيها تخضع للعرف ، وإذا تغير العرف تغير التفسير وتغير حكم العقد المشتق من ألفاظ العاقدین ، ولذلك كان من المقررات أن المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً ، وما كنا نتصور أن تلك المقررات الفقهية تلتبس على باحثين حتى يظنوها حديثاً ، وليست بحديث ، فكان حقاً علينا أن نزيل الالتباس بمقتضى الليثاق الذي أخذه الله تعالى

النبوات لا محالة ، لأنها قائمة على خطاب الله تعالى فقد قال تعالى : « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا » .

وإن التكلم لو كان يعرف العربية ما قال ذلك القول ، فإن كلمة الوحي تطلق في العربية على الإلهام المجرد ، وعلى حديث النفس ، وعلى الإلهام بمقتضى الغريزة الفطرية كاللهام أنثى الحيوان بإرضاع أولادها ، ويطلق على كلام الله تعالى لرسله وهو إطلاق عرفي ديني ، ولكن العالم الجليل قال هذا ، ولا بد أن نصدقه ، وإلا كنا متطاولين في نظر صاحب المقال القيم عند مجلة وزارة الأوقاف المغربية .

١٢ - ولقد استطال بنا القول فحق علينا أن نختم هذا المقال ، وسنعود إلى تكميم الموضوع ، وقبل أن ندغ القلم ، نقول إن كان في هذا الكلام ما يحل مشاكل العالم ، ويجعل الإسلام يسهم في بعث الروحانية فعملى العقول المعفاء ، فإن ذلك القول عبث ساخر ، وضلال باطل ، وفتنة في الدين ظاهرة ، وقي الله الإسلام شرها ، ولكن ليعلم هؤلاء أن هذا الدين متين ، لا يؤثر فيه لغو اللاعن ، ولا عبث المابئين ، والله هو المهادي إلى سواء السبيل .

محمد أبو زهرة

« أدبني ربّي فأحسن تأديبي » وكأله في أن اختاره ربه للرسالة الإلهية في هذه الأرض ، وقد قال سبحانه : « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » .

ولقد قلنا إن من يدعى أن محمداً كان يعلم قصص الأنبياء قبل القرآن يكذب القرآن فقد قال تعالى : « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ » فجعل القصص منسوبا إلى الله تعالى ، ومقرّونا بوحيه على النبي فلا يكون قبله ، وقال تعالى : « مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا » فأخبار النبيين بصريح القرآن ما كانت معلومة للنبي ولا لقومه ، ومن قال إنه يعلمها فقد كذب القرآن ، وكذب ما يجب تصديقه ويجب الإيمان به ولقد قال سبحانه بعد قصة السيدة البتول صريم عليها السلام : « ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَعَهُمْ آيَاتُهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ » ووقفنا لذلك الذي ينكر النبوات ؛ ويدعى أن الوحي كما ينزل على من يدعى الرسالة ، ينزل على غيره ، بل ينزل على الحيوان ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ » وقلنا إن إنكار الوحي يؤدي إلى إنكار

نظرات في الحياة

الإنسان من أحداث تغير حياته ، وتقلبها رأساً على عقب ، دون أن يحس ذنباً ، أو يقترب إنمأ . . . وإني لا أكتفكم يا إخواني أنني في حيرة من أمر هذه الدنيا ، فلقد شاهدت أكثر من حادث عجيب غريب ، يستدعي التفكير والتأمل . . . شاهدت رجلاً عرف بيننا بالطهر والاستقامة ، واشتهر فينا بالخير وحب الناس ، يؤدي فرائض الله ، ويحجب محارم الله ، وما سمعنا عنه أنه ارتكب كبيرة ، أو سمى في ضرر مخلوق ، ومع كل ذلك نراه في كل يوم يتعرض لأحداث الزمان ، ويصاب بالأمراض المختلفة ، ويخرج من محنة إلى محنة ، حتى لقد مل حياته ، وسئم دنياه ، وكره الناس ، وكفر بالمثل العليا . . . وقال ثان : ما دمت قد طرقت هذه المسألة فلدي عنها شيء كثير ، بل إن لدى حادثة في المنزل الذي أقيم فيه موضع عجبنا جميعاً ، وألنا جميعاً ، وأسفنا جميعاً . .

هذه الحياة التي يحياها بنو البشر ، ويرون فيها من التناقضات والعجائب والفرائب مالا طوق لعقولهم وأفهامهم بإدراك كنهه . . هذه الحياة جديرة بأن ينظر إليها المؤمنون الموقنون نظرة تدبر وتفكر وأن يضموا نصب أعينهم دائماً قول مدبرها الأعظم جل من قائل : « رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ » فما هضمته عقولهم فذاك ، وما خفي عن إدراكهم فليتركوا التفكير فيه ، وليسلموا بأنه سر الكون ، الذي لا يعرفه إلا إله الكون . . .

لقد جلسنا جماعة من الإخوة والأصدقاء ذات يوم تبادل أطراف الحديث ، ونستعرض أحداث الحياة ، وكنت كديديني أحب أن أسمع أولاً ، وأتكلّم - إن كان ثمت داع للكلام - أخيراً ، فاستمعت إلى أحد المتحدثين يقول : ما أعجب هذه الحياة ، وما أقسى تصاريق القدر ، وما أشد ما يصيب

فتاة نشأت على الطهر والعفاف ، وتعلمت الدين ، ولقنت تعاليمه أدق تلقين ، وكان لها من استعدادها الفطري ، وميلها الطبيعي ، ما ساعدها ومهد لها الطريق ، لتسير في الطريق المستقيم ، لا التواء ولا ميل ، وعندما آتمت دراستها عرفت بين لداتها وأترابها بأنها (قديسة) تبشر بالدين ، وتدعو إلى اتباع تعاليم رب العالمين ... وطمع الطامعون في هذا الصلاح ، وتلك الطيبة ، فكانوا يقصدونها لقضاء حاجتهم فلا ترد لأحد طلباً ، بل لقد كانت تعتمد إلى غيرها ليساعدها على ألا ترد ذا حاجة ، وغمرتها موجة من السعادة الروحية لهذا التوفيق الذي لازمها فجعلها تخدم المجتمع ، وتساهم في الأعمال العامة ، ونجاة رأيناها تصاب بمرض عضال ألزمها الفراش شهوراً طويلة قاربت العام أعجزها عن الحركة ، ولازمت من جرائه صمتها واحتملت الألم - أول ما أصيبت به - في صبر ورضا ، ولكن لما طال الأمد ، وأبطأ بها الشفاء ، وكثر تردد الأطباء عليها ، دون أن تبرأ من علتها ، بدأت تتبرم بالحياة وتسكب الدمع المردار في حزن عميق ، حتى ذبلت واضمحلت ، وزاد من آلامها أن الناس يحيطون بها ، ويترددون عليها ، لا يفتأون يتحدثون عنها بأنها مسكينة ، ولم تقدم في حياتها إلا الخير ، ولم تعمل إلا كل عمل نافع ، وإن هذا الجزء الذي تلقاه ، وهذا الألم الذي ينال من

جسدها ، ليس الجزء الوفاق على عملها ، ولا الثمن الذي دفعته للفضيلة والطهر من شبابها وصحتها . . .

وقال ثالث : إن ما أقصه عليكم هو في نظري أعجب وأغرب مما سمعت ، فلقد عرفت شاباً نشأ عصامياً ، ربي نفسه وعلم نفسه بالكسب والجهد والعرق والدموع ، حتى إذا نال شهادة متوسطة سمي حتى نال وظيفة يقيم بها أوده ، وسرعان ما أتم نصف دينه واختار له زوجة تعينه على الحياة ، ولم يكن راتبه يكفيهما إلا بالتدبير بل بالتقتير ، ورأى أخاله ذا عيال وفي حاجة إلى المعونة فحرم نفسه وأخذ على عاتقه أن يربي أولاد أخيه وظل يعيش عيشة الكفاف ، ويحرم نفسه وزوجه من أى متعة في الحياة ، ويستدين من هنا ، ويقترض من هناك لكي يخرج أولاد أخيه رجالاً نافعين في المجتمع ، وصمم على ألا يتخلف في الطريق مهما تكن العوائق ، فباع من أثاث بيته ، ومن مصوغات زوجه ما استطاع به أخيراً أن يتم ما بدأ ، وأن ينجح فيما قصد . . . وتخرج بعض أبناء أخيه في الجامعة ، ولم يكذب يأتية البشير بالنبا ، ويعلم للناس فرحته بهذا التوفيق والنجاح حتى فوجيء بمرض جلدي أصاب كل جزء من أجزاء جسمه ، وقصد إلى جميع الأطباء ، وعرض نفسه على كل معالج ، وجرب جميع الوصفات ، ولكن

لا جدوى من ذلك ولا غناء .. وها نحن أولاء أصدقاء هذا الرجل وأحباؤه تقف مكتوفى الأيدي ، مكتمى الأفواه ، تعقد ألسنتنا الدهشة ، ويملاً نفوسنا الألم لهذا الذى نعتقد أنه مثل من أمثلة التضحية والوفاء والإيثار وإنكار الذات ، ثم نراه فى هذه الحال من الأسى والألم والمرض الذى لاحد له ، ولا طبيب يستطيع أن يشفيه ، مع أنه ليس من الأمراض المستعصية ، ولا من العلل التى لم يصل الطب إلى برء لها .

وتحدث رابع وخامس وسادس فذكر كل واحد منهم قصة هى فى اعتقاده أعجب مما سمع وأغرب ، واتفق الجميع على أن هذه ظواهر وأشياء لا يعرف أحد كنهها ، ولا يستطيع عقل أن يفسرها ، بل لقد تطاول بعض الحاضرين وقال : هذا ظلم القدر ، وتصرف لا معنى له فى نظر العقلاء .

هنا ، وهنا فقط — خرجت من صمتي فقد بدا الغضب على وجهي فانهرت ذلك المتكلم ، قائلاً له : سواء لدينا أ كنت مسالماً أم مسيحياً — م يهودياً — أم من أى ملة لها كتاب يُعبد الله عليه ، فإنك قد نطقت كفرة ، وقلت هراء من القول لا يصدر إلا عن اللتائين الذى أصاب عقولهم مس من الشيطان .

وبعد أن هدأت العاصفة ، واعتذر الرجل عما بدا منه ، قلت : إن ما ذكرتموه

وما نشاهد أمثلة عديدة منه كل يوم بين ظهرا نينا لا يحتمل إلا معنى من اثنين : إما أن يكون من أصيب بما ذكرتم من الأمراض ، هو رجل مؤمن حقاً ، مخلص حقاً كما يقولون ، فهذا امتحان من الله لإيمانه وبقينه ، يثبت به قلبه ويقوى عقيدته ، ويعلمه الصبر على احتمال السكاره ، وتقبل الأرزاء ، ليجعل منه إنساناً من الذين رضى عنهم وأرضاهم وجعلهم من عبادہ المقربين ، ولنا فى نبى الله أيوب الذى مسه الضر والبلاء فاحتمله صابراً راضياً بقضاء الله وتقديره ، ولما اشتدت به العلة ، جأ إلى ربه يسأله أن يكشف عنه فاستجاب له وجزاه على صبره واحتماله الجزاء الأوفى ، وفى يونس الذى ظل يقيم فى بطن الحوت عدة سنين يسبح ربه ، ويدعو خالقه ، حتى إذا احتمل البلاء ، وصبر على الضراء ، كان له من ربه أحسن الجزاء .

وإما أن يكون من ذكرتم وأمثالهم قوماً ظاهرهم غير باطنهم يحسنون التمثيل ، ويحيدون خداع الناس وليس فى قلوبهم ذرة من الإخلاص ، ولا مكان للصالحات ، ولكنهم يفعلون ما يفعلون رياء وسمعة لكي يتحدث القوم عنهم بأنهم طيبون مخلصون مستقيمون . ومن أجل هذا و مثيله — رماهم الله بالداء العضال ، وهو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فليس ينطلى عليه رياءهم ، ولا ينخدع بشههم ونفاقهم ، فهو سبحانه يعطيهم بعض جزاءاتهم .

ولنأى بأحاديثنا عن تلك المغيبات ، ولنذكر دائماً قصة موسى كليم الله عليه السلام ، والخضر عبد الله ، وماذا جرى لهما حين اصطحبا وأرى الخضر موسى من الأمور التى يعرفها وهو نبي من أنبياء الله المقربين واختص الله بمعرفته عبداً من عباده الصالحين ، اوقد كانت كلها أشياء غريبة على موسى لم يستطع بعقله الكبير ، وعلمه الغزير أن يدرك معناها ، أو يفهم مغزاها ...

أجل لنذكر دائماً هذه القصة الخالدة التى قصها الله بتفاصيلها فى سورة الكهف فكلما ذكرناها ثبتت الله قلوبنا بالإيمان ، وما أجل الحكمة التى رويت عن الصديق صاحب الرسول فى الغار رضى الله عنه وصلى وسلم على نبيه المختار ، ما أجل قولة الصديق وهو يتوجه إلى بارى الكائنات : اللهم إيماناً كإيمان العجائز . . أى اللهم تسليماً بلا قيد ولا شرط ولا محاولة لإنشاء الفكر وشغل العقل بالتحقيقات من الغيب التى لم تستطع ولن تستطيع عقولنا أن تصل إلى حل لها بعد أن فكرنا وتدبرنا ونظرنا فلم نصل بالعقل ولا بالفكر ولا بالتدبر : وإنا لنضرع إلى من بيده القلوب والنواصى ، أن يجعلنا من الذين إذا عجزت عقولهم عن الفهم والمعرفة ، امتلأت قلوبهم بالإدعان والتسليم ، لنعرض على الله يوم التلاق بقلب سليم .

أما ما نسمع من أحاديث عن قسوة الأقدار ، والحياة الرعدة التى يحياها كثير من الأشرار ، والعيشة القاسية التى يعيشها كثير من الأخيار ، فهذه كلها استدراجات من العلى الكبير صاحب الأمر والتدبير لأولئك الذين غرتهم الحياة الدنيا ، وغرهم بالله الغرور ، حتى إذا ما أمت بصائرهم الشهوات ، فأضلتهم البهجة والمتع ، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أخذهم الله أخذة رابية ، فأصبحوا كأن لم ينعوا بالأمس .

وهى للأخيار الصالحين من عباد الله الذين زهدوا فى الدنيا وعزفوا عن ملاهيها ، وطلقوا مباحيها واتقوا فتنها ، حين نظروا فيها وتدبروا فى أمرها ، فأروها أنها إلى زوال ، وأن مردنا جميعاً إلى الكبير المتعال ؛ هى لهؤلاء نوع من الامتحان والاختبار الإلهى ، من نجاح فيه واجتازه فىا لسعادته ، وبالبطمانينته إلى آخرته وحسن ختامه . ومن لم يطق الاحتمال ، أوأء كاهله بحمل هذا الامتحان ، فإن لله فيه أمرالسنا نعرفه ، ولا نستطيع أن ندركه .

أما الحديث عن ظلم القدر ، وقسوة الزمان ، والتطاول على الله بهذه الأفكار والأقوال ، فهو كفر لا شك فيه ، وتحذ لله لن يسلم فاعله من أن يأخذ الله بنافصيته ، ويضربه الضربة القاصمة . . . فلنبتعد يا إخوانى عن هذه الأفكار والترهات ،

دراسات قرآنية

(١٢)

يا أخى القارىء ...

عرضنا فى مقالنا السابق للآية الثانية من الآيات التى تنادى الناس فى القرآن الكريم ، حسب ترتيب المصحف . وهى — كآية الأولى — فى سورة البقرة .

ولعلك تذكر ما قررناه فى أحد مقالات هذه السلسلة^(١) ، من أن سورة البقرة مدنية بلاخلاف بين العلماء . لكنى — مع ذلك — أحب أن أتذكر معك أحد الدليلين اللذين سقتهما هناك على هذه الحقيقة ، وهو النص الذى خرّجه البخارى برواية يوسف بن ماهك عن عائشة ؛ ففى هذا النص تقول عائشة رضى الله عنها : « وما أنزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده » .

ولست أتذكر معك هذا النص هنا من أجل الآية الثانية وحدها ، مع أن هذا هدف

(١) انظر المقال الثامن ، فى العدد السادس ، من هذه السنة .

لى ؛ فإن الآية الثالثة تعتمد — هى أيضاً — عليه فى تقرير مدنيّتها ، لأنها هى الآية الأولى فى سورة النساء ؛ ونحن الآن بصدد دراسة هذه الآية ، وبيان السر فى عموم النداء فيها ! .

على أن الموضوعات التى عالجتها سورة النساء تؤكد الحقيقة التى تقررها عائشة رضى الله عنها ، فى رواية البخارى ، ونعنى بها أن السورة مدنية ؛ فهى تقوم على تنظيم المجتمع الإسلامى من جميع نواحيه ؛ لأنها تبدأ بتقرير صلة الرحم الإنسانية العامة وما ينبغى لها من صلة ، وتعنى باليتيم والمرأة عناية خاصة ، وتحدث عن السفه وحفظ ماله له ، وعن التركت وحق كل وارث فيها ، وعن المحرمات من النساء والسر فى تحريمهن ، وعن صيانة الجنسين من الفاحشة ، وعن التوبة وأنواعها وشروط المقبولة منها ، وعن الملكية الخاصة وما تقتضيه من احترام ينافيه أن تؤكل الأموال بالباطل وعن ضرورة اتقاء الحسد

هو ربهم ، وهو خالقهم جميعاً من نفس واحدة ، وهو الرقيب عليهم ، فتؤكد بهذه التعليقات جميعاً أن الذين نودوا فيها هم جميع الناس ؛ لأن ربوبية الله تعالى للناس ، وخلقهم لهم ، ورقابته عليهم — لا تخص قوماً منهم دون قوم ، ولا يستأثر بها فريق منهم دون فريق !..

ولكن في هذه التعليقات — يا أخى القارىء — جوانب أخرى ، جديرة بأن نطيل الوقوف عندها ، والتفكير فيها .

فربوبية الله عز وجل خلقه تعنى التفضل عليهم بنعمه التى لا تحصى ، ومنها الرزق ، والصحة ، والفراغ ، والعقل ، وتسخير كل ما فى الكون . وهذه النعم التى تفضل الله بها على كل إنسان توجب الشكر له ، وتقتضى الإخلاص فى عبادته ، وتستلزم تقواه !..

وخلق الله تبارك وتعالى لجميع الناس ، وما فى هذا الخلق من دلالة قوية على قدرته البالغة ، وبخاصة أنه خلقهم من نفس واحدة هى الأصل الإنسانى المشترك بينهم ، وأنه خلق من هذا الأصل نفسه لكل إنسان زوجة ؛ ليتم التفاهم والاندماج بينهما — هذا الخلق نعمة كبرى من نعم الله عز وجل ، يجدر بالناس أن يعكفوا على شكرها له ، وأن يسرعوا إلى تحقيق الغاية منها وهى عبادته

لصلاح أمر الناس ، وعن الحياة الزوجية وما للرجل من مكانة فيها ، وعن نشوز المرأة ونشوز الرجل وعلاج كل منهما ، وعن الإحسان والبخل ، والإخلاص والرياء ، وعن أصول الحكم فى الإسلام ، وعن القتال والهجرة فى سبيل الله ، وعن القتل العمد والخطأ وآثار كل منهما ، وعن النجوى وما يباح منها وما يحظر ، وعن المنافقين وبني إسرائيل ، وعن عموم الرسالة ووحدة الأديان السماوية ، وعن المسيح وخطأ عقيدة النصارى فيه .

وهذه الموضوعات وغيرها مما عالجته سورة النساء — وهو كثير — تؤكد أن السورة مدنية ؛ لأن مجتمع المسلمين لم يحتاج إليها إلا فى المدينة ، بل لأن المسلمين لم يكن لهم مجتمع إلا فى المدينة !..

والآن يا أخى القارىء ، ماذا تقول الآية الأولى فى سورة النساء ؟ إنها تقول :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » .

وهى تنادى الناس لتأمرهم بالتقوى ، وتعلل لهذا الأمر بأن الذى يجب له التقوى

وتقواه ، متفقيين في هذه التقوى كما اتفقوا في
تقبل نعمة الخلق ، والاستمتاع بها !..

وإن من حق المتفضل بالخلق والربوبية
أن يكون رقيباً على عباده ، يحصى ما لهم
وما عليهم ، ويسجل ما يسرعون إليه من
استجابة وما يقعون فيه من أخطاء ؛ ليكون
حسابه لهم على ما قدموا دقيقاً عادلاً . وهو
في هذه الرقابة يسوئ بينهم جميعاً ، كما سوئ
بينهم في ربييته وخلقه ، ويكرمهم كما كرمهم
بهائين النعمتين . وإلاّ لما فضل الإنسان على
غيره من المخلوقات ، إن هو لم يُعتبر كيانه
الخاص وما تقتضيه خلافته لله في الأرض من
سيادة ، وحسابه على هذه السيادة ،
وبقدرها ؟..

ولقد أسلفنا أن سورة النساء تقوم على
تنظيم المجتمع الإنساني ، بما تعالج من
موضوعات . ونحب أن نقرر الآن أن هذه
الآية التي تبدأ بها السورة هي خير ما يمهّد
لهذا التنظيم ؛ ذلك أنها تتحدث عن الأصل
الإنساني الواحد للناس جميعاً على اختلاف
أجناسهم وألوانهم وأوطانهم ؛ لتصور ما بينهم
من وحدة إنسانية ، وهي إذ تتحدث عن
هذه الرحم الإنسانية العامة بين جميع الناس
— تضعها بين أمرين بالتقوى : أولهما لله
عز وجل بوصفه ربا لجميعهم ، ينعم عليهم دون

تفرقة بنعمه الكثيرة الدائمة . وثانيهما لله
تعالى بوصفه الذي يتساءلون به : يسأل بعضهم
بعضاً بحقه عليه أن يجيبه إلى حاجته . فهم
مستوون أمام الله في أنهم مربوبون له ،
وفي أنهم يتساءلون به . ولهذا التساوي في
هذه الصلة بالله مقتضياته البالغة الخطورة ،
وإن من هذه المقتضيات وفي مقدمتها أن
يذكروا دائماً أخوتهم في الإنسانية ، فلا
ينسوها ولا يغفلوا عنها بسبب من متاع الحياة
الدنيا وعرضها الزائل !..

ومن هنا ، كان طبيعياً أن يذكر مع
الأمر بتقوى الله أمر آخر بتقوى الرحم ،
أى باتقاء قطيعتها : « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ » وكان طبيعياً أن
يمقب على الأمرين معا بأن الله عز وجل هو
الرقيب عليهم ؛ لأن تقوى الله — كما سبق
أن قررنا — هي يقظة الضمير الإسلامي في
قلب المؤمن ، وصلبة الرحم هي يقظة الضمير
الإنساني في قلب الإنسان ، ولا سلطان على
القلب لغبر الله ، فهو وحده الرقيب عليه :
« إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً » .

هل فهمت الآن يا أخى القارىء كيف
تصور هذه الآية وحدها مجتمع الناس كما
يريده الإسلام .

إذن فتمال معى إلى دنيا الناس كما يصورها

إليه الإنسانية في هذه الأيام من مادية طاغية
هو الوضع السليم الذي يجب أن يقبله الناس ،
وأن يرضخوا له ، وأن يعيشوا عليه ! . .

إننى لا أجد ما يدعو لموازنة مجتمع
الناس الآن بذلك المجتمع الذى يقيمه الإسلام
ويدعو إليه ، ذلك المجتمع الذى يقوم على وحدة
الإنسانية فى الناس جميعا ، والذى يدعو إلى
التنافس فى الخير والبر وكل ما يصلح شأن
الناس ؛ فإن الفروق بين المجتمعين أوسع وأكثر
من أن تسمح بموازنة . غير أنى أحب أن
أشير إلى ظاهرة جديرة بالتسجيل ، هى أن
هذا البدء « يا أيها الناس اتقوا ربكم » لم
يرد إلا فى سورتين ، ثانيتهما هى سورة الحج .
ولعل مما يجب أن يلتفت إليه أن هذه السورة
هى الرابعة فى النصف الثانى من المصحف ،
وأن سورة النساء هى الرابعة فى نصفه الأول
وأن الأمر بالتقوى فى أولى السورتين علل
بالبدء وهو الخلق ، وفى السورة الثانية علل
بالنهاية وهى البعث ، وكما يتفق الناس جميعا
فى البدء يتفقون فى النهاية ، فقيم الخلاف
بينهما ؟ وما الذى يسمح به أو يسوغه ؟ ! .

ألا ما أحكم وأصدق أن يقول الله عز وجل :
« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من
نفس واحدة » ، « يا أيها الناس اتقوا
ربكم ! إن زلزلة الساعة شئ عظيم » ! .

(الحديث موصول)

الواقع الأليم ؛ لنشهد معاً بعض ما بين معالم
الصورتين من فروق تهول باتساعها وكثرتها .

إن الأسرة الواحدة ، فى المجتمع الصغير —
وهى التى تربطها أوثق الصلات ، وأقوى
الأواصر — كثيراً ما يباعد بين أفرادها
تطاحنٌ على مال لا يؤبه له ، أو على معنى
لا قيام له إلا فى نفوسهم ! والقرية الصغيرة
فى الإقليم ، قلما تحكم تلك الرابطة السامية
فما ينشب بين أفرادها من خلاف على عرض
أو غرض ! والمدينة الواحدة فى الدولة لا يكاد
يلتفت مجتمعها إلى أنها تحكم بقانون واحد
هو نفسه قانون الأسرة فى أضيق نطاق لها !
والدولة فى المجتمع الإنسانى توشك ألا تقيم
لغيرها من الدول وزناً إلا فى حساب المنفعة
والمضرة ، كأن إحدى الدولتين من جنس
الإنسان والأخرى من جنس غيره ! وتلك
الكتل السياسية والمذهبية فى ميزان السياسة
والمذاهب هل قامت على أساس هذه
الوحدة الإنسانية فى الأصل ، وفى الرحم
المشترك ؟ ! . .

ومع ذلك ، فإن فى الناس من يزعم أن
الإسلام لا يصلح لهذا العصر ، كأن الناس
لا يصلون إلا بوسائل الفساد ، وكأن المجتمع
المتطاحن هو المجتمع المثالى الذى يجب أن
يكون ، وكأن الحيوان فى كل إنسان هو الذى
يجب أن يسود ويحكم ، وكأن ما انحدرت

الحكمة

ومع كل هذا ظل الإنسان غير مكتمل السعادة ، وغير موفور الهناء ، وغير مطمئن البال ، يأكل كثيراً ولا يتذوق لذة الشبع ، ويجمع كثيراً ولا ينتهي منه الطمع ، ويلبس كثيراً ولا يحس بأنه قد تجمل أو اكتمل ، وينال ما ينال من الشهوات والرغبات ، ومع ذلك يظل يشعر بجوع روحي عنيف ، ويحتاج إلى رى نفسى يزيل ظمأه وشوقه إلى الهدوء والاستقرار ، ويتطلب مشاعر معنوية تضىء صدره بأنوار الإيمان ، وتعمر قلبه بأضواء اليقين ...

ولقد يسمى الإنسان ما يسمى باحثاً عن ذلك ، ولقد يدور ما يدور متطلباً بغيته ، ثم لا يجد أمانه أو اطمئنانه إلا حيث يجد دينه وإيمانه ، وحيث يربط سبيله بأقوى الأسباب ورب الأرباب مالك الملك سبحانه ، ويهتف في ثقة واعتقاد فيقول : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

إن الأيام تعطينا كل حين دليلاً على أن الاعتصام بحبل الله عز وجل هو طريق الأمان والاطمئنان ، وأن الاهتداء بدين الله الحق هو وسيلة السعادة والسيادة ، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى : « فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » . والقرآن الكريم ينادى بالعودة إلى سبيل الله ، والاحتماء بحمائه ، إذ يقول : « فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ » .

ولقد علا الإنسان في الأرض ما علا ، وبدا له من أسرارها وأخبارها ما بدا ، وسخر من قواتها وخيرات ما سخر ، وابتكر من فنون الحياة المادية المترفة ما ابتكر ، وخيل إليه أنه قد ساد وقاد ، وملك البلاد والعتاد ، فازدهى بمحضارته المادية ، واغتر بقوته الحسية ، ونادى : يا أيها الناس إني !! ...

لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت
وأنا أول المسلمين !...!

دار هذا الخاطر بجنانى حين قدمت إلى
مصر أخيراً « بعثة الضباط الأندونيسية » ...
ولقد عجبت أول الأمر حين بلغنى نبأ اختياري
رائداً لهذه البعثة خلال إقامتها في ضيافة
الدولة ، ولكن عجبى قد زال حين علمت عقب
ذلك أن هذه البعثة مكونة من قادة التربية
الروحية في الجيش الأندونيسى المسلم الشقيق ،
وأن هذه البعثة قد خرجت من دارها إلى
ديار الإسلام لتؤكد صلة الأرحام ، وتوثق
رابطة الأخوة بين أبناء الملة الواحدة ، ولتدرس
نواحي التربية الروحية والثقافة الإسلامية
والتوجيه الدينى والتعبئة المعنوية والشعورية
في الهند ، والباكستان ، والعراق ، والمملكة
العربية السعودية ، والجمهورية العربية المتحدة ،
ولبنان ، وإيران ، لكي تنتفع بذلك حين تعود
إلى أندونيسيا المسلمة في تقوية النزعة الدينية
والثقافة الروحية ، والتربية الأخلاقية بين
جنود الجيش الأندونيسى المقدام .

وذلك لأن العقيدة السائدة في أندونيسيا ،
بين الشعب والجيش معا ، هي أن الأمة لا يمكنها
أن تعيش وتقوى وتسعد بدون دين ، وأن
الجيش إنما ينتصر ويسود إذا كانت قلوب
أفراده عامرة بالعقيدة والإيمان ، موصولة بالله
جل جلاله ، واثقة أنها إذا انتصرت فهي

غازية مستعملة بالحق والعدل ، وإذا جاءها
أجلها فهي شهيدة تلقى ربهها لتنال ثوابه العظيم
وعطاءه الجزيل ، وأن الإيمان بالله هو القوة
القوية المحركة التي تدفع الجندي إلى ساحات
الوغي ومواطن الهول ، بلا خوف ولا وجل ،
لأن الله معه ، وهو يختار له - ، ويعاونه ،
ويعهد أمامه طريق الفوز والانتصار : « إِنْ
يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِنْ
يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ
بَعْدِهِ ؟ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » .

وأقبلت البعثة علينا إقبال النسمة الرقيقة
تهب من دار حبيبة وساحة عزيزة ، وكانت
بيننا أحاديث عن دعوة الإسلام ، ونبى
الإسلام عليه الصلاة والسلام ، وحاجة العالم
الحائر إلى الدين ، وظماً الناس إلى رى الروح ،
وواجب المسلمين نحو قيادة الدنيا إلى شاطئ
الإيمان والأمان ، وعظم الخسارة التي خسرتها
الحياة بقطع الصلات التي تربطها بالعقيدة
الإلهية ، وغير ذلك من الشئون ...

وأخذنا نجول مع أشقائنا ، فزرنا الأزهر
الشريف : معقل الإسلام وحصن العربية ،
وزرنا جامعة القاهرة ، والكلية الحربية ،
وبعض المصانع الحربية ، ولاحظت أن أشقاءنا
من أبناء أندونيسيا يسألون عن كل شيء ،
ويستفهمون عن علاقته بالدين ، وعن كلمة
الإسلام فيه ، مع عمق تثبت وحسن تتبع ودقيق

تحصيل. واستمعنا في زيارتنا إلى دروس مختلفة:
في الشريعة والقانون ، وفي التوجيه الديني
والروحي ، وفي تاريخ الإسلام والمسلمين ،
وفي الصلة بين الإسلام والقومية ، وفي
النواحي العسكرية المتصلة بمبادئ الإسلام
وترائه ...

ورحلنا إلى الاسكندرية فقضينا سحابة
نهار في الكلية البحرية ، حيث يتخرج
الفرسان الذين يخرون عباب الماء ، ويوثقون
روابطهم بالبحار ، وأمواجها ، ولججها ،
ومسالكها . وزرنا طائفة من المساجد
كمسجد أبي العباس الرسي ، ومسجد
البوصيري ، ورأينا كيف تلاقت جلالة الدين
مع روعة الفن ، مع عظمة الذكري ، مع قوة
الشخصية التاريخية الإسلامية ، فسبحنا حينئذ
في فيض من النور والبهاء ...

ورحلنا إلى « بورسعيد » المدينة التي
سار ذكرها بين الناس ، لأنها وقفت يوماً
تتلقى عدوان المعتدين ، وترد عن نفسها كيد
الباطشين ... وعلى شاطئ البحر الأبيض
المتوسط وقفنا نتذكر كيف كان هذا البحر
« بحيرة عربية إسلامية » ، تموج فيها دعوات
السماء ، ويتردد هتاف الإسلام بالعدالة الإنسانية
والمساواة البشرية . وفي مسجد « عبد الرحمن
لطفي » وقفت أخطب للجمعة عن مبادئ
الإسلام وأخوة الإسلام ، وأشرت إلى

الروابط التي تربط بين المسلمين في شتى بقاع
الأرض ...

واطلع الأشقاء على وجوه من جهود
الجماعات الإسلامية ، فقصوا معنا ليلة في
المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، حيث
سمعوا كلمات الترحيب الإسلامية ، وشاهدوا
عرضاً رياضياً رأوا فيه كيف يعمل الإسلام
لتكوين المسلم القوى في دينه وعقله وخلقه
وبذنه ، كما شاهدوا مسرحية « صراع »
فرأوا كيف نستغل المسرح الإسلامي في
نشر المبادئ الدينية والدعوات الروحية
وصفحات التاريخ العاطر بنفحات الإسلام ،
وكيف يقترب رجل الدين من رجل الفن
المتدين ليتقيا في منتصف الطريق لخدمة
العقيدة الكريمة والفن السليم ، كما قضينا
ليلة في جمعية الرابطة الإسلامية .. كما اطلعوا
على مجموعة من أعداد « لواء الإسلام » ...

وفي « مسجد الرفاعي » أدى أعضاء
البعثة الأشقاء صلاة الجمعة ، وكان موضوع
خطبتي يومئذ هو « تعليم الإسلام الشعور
بالتبعية » ، وأشرت إشارة سريعة إلى جمال
رحلة المسلم إذا كانت في سبيل الله ، وإعزاز
دينه ، ونشر دعوته ، والتمكين لشريعته ؛ ولما
علمت جموع المصلين بوجود إخوة لهم في الله
بينهم تسارعوا في زحف كريم موصول
لمصافحتهم ومبادلتهم عواطف الأخوة
الإسلامية ...

ولا أستطيع أن أحصى كل ما كان من جولات وزيارات ، ولا كل ما ثار في الصدر من مشاعر وأحاسيس ، ولكن الذي لا أستطيع نسيانه هو ما كرهه أولئك الأشقاء من أنهم يوقفون أنه لا نصر إلا بالله ، ولا عزة إلا للأخيار من عباد الله ، ولا سمادة إلا بدين الله ، ولا علو إلا لكلمة الله : « وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » .

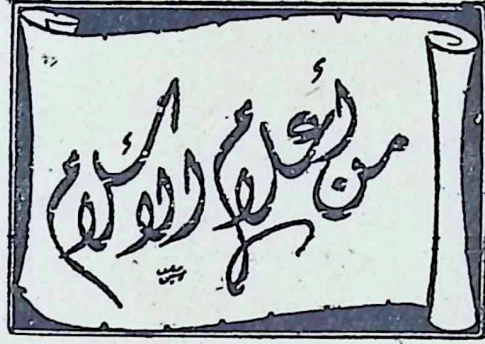
ولقد كان فرح هؤلاء الأشقاء وانحنا حينما رأوا في الدواوين والمصالح والمكاتب لوحة علت كل اللوحات وقد كتب فيها بالخط الجليل الجليل : « الله جل جلاله » ؛ وكانوا كلما رأوها قالوا : ستظلون أعزاء سعداء ما دام اسم الله يعلو بينكم على جميع الأسماء ، وما دام ذكر الله مفضلاً على كل ذكر سواه .

كما كان فرحهم عظيماً حينما علموا وشاهدوا أن الأزهر الشريف فيه تدريب عسكري ، وأن من أبنائه وعلمائه كثيراً من الضباط ، وهكذا يجمع العالم الأزهرى بين الدين والدنيا ، وبين قوة الروح وقوة العقل وقوة الإعداد ، وهم يتمنون أن يتمكن الأزهر من نشر رسالته الكبرى في سائر بلاد الإسلام ، ويقولون إن للأزهر في أندونيسيا مكانة تسمو على كل مكانة ، وصورة المجدد الأزهرى الشيخ محمد عبده توجد في كل مكان ، وأفكاره الإصلاحية كان لها تأثير كبير ، وهم يرجون أن تزداد الصلات الدينية

والروابط الإسلامية قوة وتوثقاً بيننا وبينهم ، ولا عجب في هذا الرجاء ، فبيننا وبينهم أخوة الإسلام الحنيف التي تعلق على كل رابطة ، وأندونيسيا تضم أكبر مجموعة من المسلمين ، وهي أكبر قطر إسلامي يستورد منا كتباً إسلامية عربية ، فبيننا وبين أبنائها من لغة القرآن صلة أى صلة ، وبيننا وبينهم روابط الزمالة الشرقية ، والابتلاء الطويل بالاحتلال الأجنبي ، والكفاح المرير في سبيل الحرية ، والتطلع الواثق إلى الغد المأمول .

وإننا لنطمح أن يستقبل أبناء الإسلام أينما كانوا وجهة واحدة تجمعهم وتؤلف بين قلوبهم ، وتجعلهم أعزة في بلادهم ، أقوياء بدينهم ، شرفاء مع غيرهم ، مستعنين بالله خالقهم ، يتابعون خطواتهم الموقفة في دنياهم ، ويعملون لحياتهم الأولى هذه كأنهم يعيشون أبداً ، ويعملون لحياتهم الأخرى كأنهم يموتون غداً ، ثم لا يكفون عن السير في طريقهم المستقيم ... إلى الله !! .

إن الأيام الحلوة الجميلة التي قضيناها مع إخواننا من ضباط أندونيسيا أثناء زيارتهم لوطننا في شهر أكتوبر سنة ١٩٥٨ هي أيام لها روعتها وعذوبتها ، وستبقى في القلوب والألباب ذكراها ، لأنها كانت عامرة بمعاني المدرسة لدين الله والالتقاء على كلمة الله ، والتآلف على المحبة في الله ، والمشاركة في الاتجاه إلى أفضل مأمول وأكرم مسئول ... إلى الله ...



أبو بكر الصديق

(٣)

غضبة الصديق على فنحاص :

كان الصديق عليه الرضوان فسيح جنات الصدر ، مضرب الأمثال في الأناة والحلم ، لا تكاد عوامل الغضب تعمل في صدره ، إلا حين يرى خصوم الدعوة المحمدية من اليهود والمناقين ، يكيدون لها ويسخرون منها . اجتمع رهط من اليهود على رجل منهم يقال له : فنحاص : وكان من أحبارهم ، فدخل عليهم أبو بكر وإنهم لكذلك فقال لفنحاص : ويحك يا فنحاص ! أتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل .

قال فنحاص وعلى شفقيه ابتسامة السخر والتهمك : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما

يتضرع إلينا ، ولو كان عنا غنياً ما استقرضنا أموالنا : يشير فنحاص إلى قوله سبحانه : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً » .

فما وسع أبا بكر وقد رأى في فنحاص الرجل المستهزئ بقول ربه إلا أن يوسع وجهه لظماً ولكماً ويقول له : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لأطرت رأسك أي عدو الله .

وهكذا كان الصديق على بعد أناته لا يغضب حين يغضب إلا لله ، ولا يعنيه من شئون حياته إلا نصرة رسول الله ، وإعزاز دين الله . موقف الصديق في غزوة بدر :

رأى رسول الله في غزوة بدر كثرة عدوه وقلة رجاله ، فاستقبل القبلة وأتجه بكل نفسه إلى ربه مستنجزاً ما وعده بإياد

للإسلام والمسلمين قد كتبه الله ، فلما نزلت سورة الفتح وفيها قول الله سبحانه : « لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ، لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ، مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَبَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا » .

آمن الناس جميعاً بأن عهد الحديبية كان فتحاً مميّناً ، وأن أبا بكر كان كمادته الصديق في هذا الموقف ، كما كان الصديق فيما سبقه من مواقف .

حجّ أبي بكر بالناس :

كتب النصر لدعوة الملة الحنيفة ، وعم نور الإسلام أرجاء الجزيرة ، وأقبلت الوفود تترى إلى مدينة الرسول ، تلتمس نوره ، وتلتقى بعد تقديمها فروض الطاعة تعالىه ، فلم يتح للرسول أن يغادر المدينة حاجاً إلى بيت الله الحرام ، لذلك أمر أبا بكر أن يحج بالناس ، فخرج في ثلثمائة من المسلمين ، حجوا وطافوا وسعوا ، وفي هذا الحج أعلن أبو بكر إلى الناس ، ألاّ يحجّ بعد ذلك العام مشرك ، ثم أجل الناس أربعة أشهر ليرجع كل قوم إلى ما منهم وبلادهم ، ومن يومئذ إلى اليوم ، وإلى ما يشاء الله لم يحج ولن يحج إلى البيت الحرام مشرك .

أمر الرسول أن يصلي أبو بكر بالناس :

لما ثقل المرض على رسول الله أمر أن يصلي أبو بكر بالناس ، فقالت عائشة :

يقوله : اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها ، تحاول أن تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فلن تعبد في الأرض : وما زال رسول الله يهتف بربه ماذا يديه ، حتى سقط رداؤه ، وكان أبو بكر واقفاً حيال الرسول وقد امتلأ قلبه إيماناً بالنصر وإعجاباً بمناجاة الرسول ، فما إن سقط رداء الرسول حتى أسرع أبو بكر ليرده على منكبيه ويقول له : يا نبي الله ، بمض منا شدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك .

موقف أبي بكر في الحديبية :

بعد ست سنوات من هجرة الرسول إلى المدينة ، أذن عليه السلام في الناس بالحج إلى البيت العتيق ، وما إن بلغ قريشا مسير المسلمين في صحبة الرسول الأمين حتى أقسموا لا يدخل محمد مكة عليهم عنوة ، وما ترى خبر هذا القسم إلى الرسول الحكيم حتى أقام بالحديبية بظاهر مكة وقد أعلن عليه الصلوات استمساكه بمبادئ السلام ، ورفضه لكل أسباب المنازلة والخصام ، كما أعلن أنه جاء مكة حاجاً ولم يجئها غازياً ، وقد تبادل مع قريش الرسل في مفاوضات انتهت بعهده أن يرجع عنهم عامه هذا وأن يعود إليهم العام الذي يليه . ثارت ثائرة كثير من المسلمين ومن بينهم عمر بن الخطاب لهذا التراجع والرجوع ، ورأوا في هذا العهد إعطاءً للدنية في دينهم — أما أبو بكر فقد آمن وصدق بحكمة رسول الله ، ووثق أن في طيأتها خيراً

يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف^(١) وإنه متى يقيم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت عمر ، قال : مروا أبا بكر يصلي بالناس ، وكررت حفصة قول عائشة لرسول الله ، بعد إذ طلبت عائشة ذلك ، فقال رسول الله : إنكن لأنتن صواحب يوسف : مروا أبا بكر فليصل بالناس .

وفي اليوم الذي قبض فيه رسول الله عليه صلوات الله ، خرج ساعة الصبح إلى المسجد ، معتمداً على علي بن أبي طالب والفضل بن العباس ، وكان أبو بكر يصلي ساعتئذ بالناس ، فلما رأى الناس النبي فرحوا وتفرّجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ، وأحسن أبو بكر أنهم لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ، فتأخر عن مكانه ، فأوماً إليه النبي : أن كما كنت ، وجلس رسول الله عن يسار أبي بكر فصلى قاعدا . اختار رسول الله بعد عودته إلى بيته الرفيق الأعلى مؤثراً ما عند الله على دنيا الناس ، بعد إذ أكل الله على يديه للناس دينهم وأتم عليهم نعمته ، بتمام نعمة الإسلام .

ثبات أبي بكر بعد وفاة الرسول :

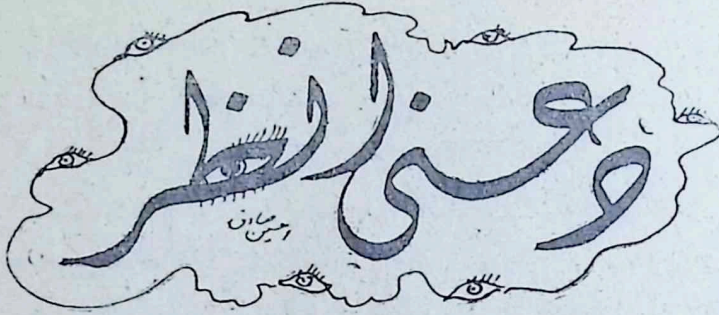
اجتوت جماهير المسلمين غمرة من ذهول بعد وفاة الرسول لم يسلم منها حتى عمر بن الخطاب ، فقد تعرّض لناقل الخبر متهدداً

(١) الأسيف : الشيخ الفاني السريع الحزن الرقيق القلب .

متوعداً ، معلنا للناس عن يقين أن رسول الله لم يمت ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم عاد إليهم بعد إذ طارت الشائعات بينهم أنه مات .

وهذا أبو بكر يذهب إلى بيت عائشة بعد إذ تراءى إليه الخبر ، فيلقى رسول الله عليه صلوات الله مسجياً في ناحية من البيت ، فيكشف عن وجهه ليقبله ويقول : ما أطيبك حياً ، وما أطيبك ميتاً : ثم يخرج إلى الناس وقد تغشّتهم غمرات الدهول فيقول لهم : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا قوله سبحانه : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ؛ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَئِنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ »

وما سمع عمر هذه الآية الكريمة حتى خرّ إلى الأرض ما تحمله رجلاه ، وأيقن أن رسول الله قد مات ، ولبت الناس في ذهولهم لا يدرون ما يصنعون — إن هذا الثبات العجيب من أبي بكر في هذا المقام الرهيب ، ليحدثنا عن قوة نفسية خارقة كانت سنداً له في الساعات الكثيرة العصيبة ، التي مرّت من بعده وبالمسلمين ، وهي التي وقت المسلمين فتنة لولاها لتعرضوا لخن لا يعلم إلا الله مداها .



وأنزله في جحره ضيقاً عليه ، وبعد أن استقر
بهما المجلس ، أخذ مفوض يسأل صاحبه عن
حاله ، وعما آتى به ، ومن أى أرض يكون ،
وما الذى أصاره إلى ما هو عليه من سوء ،
فقص عليه ظالم قصته مع الحية ، فازداد به
حفاوة وعطفاً ، وجعل يسرى عنه ويسليه ،
ثم قال له : ولكن أخبرنى . كيف أعجزتك
الحيلة ، مع ما نحن عليه معشر الثعالب من
الدهاء والمكر وسعة الحيلة ؟ قال ظالم : ذلك
ما كان ، وما جئت إليك أطلب غوثك ، إلا
بعد أن فرغت حيلتى . قال مفوض : الموت
من دون ذلك أهون ، والرأى عندى أن
تنطلق معى الآن إلى مأواك الذى اغتصبت به
الحية ، حتى أنظر إليه ، فلملى أهتدى إلى
مكيدة ، تخلص بها مأواك ، فانطلقا معاً إلى
ذلك الجحر ، وجعل مفوض يتأمل ثم قال
لظالم : اذهب معى ، فبت الليلة عندى ،
ودعنى أنظر ليلتى هذه فيما يصح من الرأى
والمكيدة ، ففعل ذلك ، وبات مفوض يفكر
ويدبر ، وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض

أقبل لثعلب اسمه ظالم يوماً إلى جحره
الذى كان يأوى إليه ، وكان قد خرج منه
يبتنى رزقا ، ولكنه لم يكذب يبلغ مأواه ذاك
ويلج بابيه ، حتى رأى فيه حية رقطاء عظيمة
قد انسابت إليه واستقرت فيه ، وما إن
أحست به ، حتى قامت على ذنبها ، تريذ
مواثبته ، فذهب غير بعيد ، وأقام خائفاً
يتربص خروجها فلم تخرج . قد أعجبها الجحر
فاستوطنته ، فهي لا تبغى به بديلاً ، ولا تريد
عنه تحولا ، وحاول ظالم أن ينحياها عن
جحره ، فأعجزته الحيلة فاستسلم ، ومضى
يسمى هائماً على وجهه ، مكتئباً حزينا ، شديد
الهم ، كاسف البال ، سيء الحال ، مضى
يلتمس لنفسه مأوى ، وانتهى به المسمى إلى
جحر حصين ، حسن الموقع ، فى أرض منيعة
ذات زروع وثمار وأشجار ملتفة ونخيل وماء
معين ، فأعجبه الجحر ، وسأل عن صاحبه ،
فلم أنه لثعلب آخر اسمه مفوض ، فناداه
ظالم ، فخرج إليه ، وما إن رأى ما هو عليه
من سوء الحال ، حتى رق له ، ورحب به ،

فرأى من سمته وطيب هوائه وحصانته ،
ما اشتد به حرصه عليه ، وطفق يدبر الحيلة
في اغتصابه ، وقال لنفسه في نفسه : لئن
عجزت عن إخراج الحية من جحري ، فسوف
لا أعجز عن اغتصاب هذا الجحر ، ونقي
مفوض عنه .

ولما أصبحنا ، قال مفوض لظالم : قد رأيت
ذلك الجحر ، نائبا عن الشجر والماء ، فاصرف
نفسك عنه ، وهلم أعينك على حفر جحر في
هذا المكان المشتهى ، قال ظالم : هذا لا يمكن
أن يكون أبداً ، لأن لي نفساً تهلك حينئذ إلى
وطني ومسقط رأسي ، وما أنا بتارك جحري
هذا الذي ورثته عن أبي ، وورثه أبي عن
جدي ، فلما سمع مفوض مقالة ظالم ، وماتظاهر
به من عظيم رغبته في وطنه ، وشدة حبه
لمسقط رأسه وحرصه على الرجوع إلى جحره
قال : الرأي عندي ، أن نذهب يومنا هذا
فنحتطب حطبا كثيراً ونجمل منه حزميتين ،
تحمّل أنت واحدة ، وأحمل أنا الأخرى ،
ونضعهما عند جحري ، فإذا جاء الليل ،
ونامت الحية في الجحر انطلقنا إلى بعض هذه
الخيام ، فأخذنا قيساً من نار ، وعدنا إلى
الحطب فحملناه وحملنا القبس إلى جحرك ،
فنجعل الحزميتين في بابه ، ونضرم فيهما النار
فإن خرجت الحية احترقت ، وإن لُزمت الجحر
قتلها الدخان .

قال ظالم : هذا وأبيك الرأي ؟ ولنعم
ما رأيت ، فذهبا واحتطبا حزميتين وحملهما إلى

جحر مفوض ، ولما جاء الليل ، قال مفوض
لظالم : هلم معي نلتمس القبس ، فقال ظالم :
ما أنا بأرض قومي ، ولست بالطريق عالماً ،
فاذهب أنت ، وانطلق مفوض فأخذ قيساً ،
ولكن ظالماً ، عمد إلى إحدى الحزميتين ،
فأقصاها في مكان غيبها فيه ، وجر الحزمة
الأخرى إلى جحر مفوض ، وسد بها بابه سداً
محكما ، وقدر في نفسه ، أن مفوضاً إذا أتى
الجحر ، استعصى عليه الدخول لحصانته ،
فإذا يئس منه ، ذهب يلتمس لنفسه مأوى
آخر ، وكان ظالم قد رأى في جحر مفوض
طعاماً ادخره ، فعول ظالم على أن يقتات به ،
إن حاصره مفوض ، وأذهله الشره عن فساد
هذا الرأي ولما عاد مفوض بالقبس ، لم يجد
ظالماً ، ولا وجد حطبا ، فظن أن ظالماً قد حمل
الحزميتين ، تخفيفاً عنه وإشفاقاً ، وأنه سبقه
إلى مسكنه الذي فيه الحية فبادر ظالم ليلحقه
ويحمل عنه الحطب ، وكان قد وضع القبس بالقرب
من باب جحره ، دون أن يشعر أن الباب
مسدود ، لشدة الظلمة ، ولم يكدي بعد خطوات
عن الباب ، إلا وضوء النار والدخان قد لحقا
به فماد ونظر وتأمل ، فإذا الحطب قد صار
ناراً ، وحاول ظالم الخروج ، ولكن النار
قد لحقت به فأحرقته ، وحق به مكره ، فقال
مفوض : هذا هو الباحث عن حتفه بظلفه .
وصبر مفوض ، حتى انطفأت النار ، وتطير
الدخان ودخل فضرب جثة ظالم برجله ،
ورمى بها بعيداً ، واستوطن جحره آمناً .

الإفراط في الطعام

بالتيسير على الناس في شئون حياتهم ، فقد أوصى كل إنسان بنفسه رفقا ، فأمر أن لا يجعلها تفرط في الطاعة خشية أن تمل وتسام ، أو تضعف وتعرض ، فتقلب من الطاعة إلى الإضاعة ، فالبيب من أخرج الإفراط جانبا ، واتخذ التوسط صاحباً وكان لهواه غالبا ولمولاه مراقباً ، يقول صلى الله عليه وسلم (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق إن التبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) .

أيها القارئ الكريم : أرأيت إلى الذي يشق عليه في الصلاة القيام ، كيف سمح له الدين بالصلاة من قعود ، أو من شق عليه لمرضه الصيام ، ركه إلى الإفطار ، أو من لم يجد ماء للوضوء أجاز له التيمم بالتراب ، وذلك رفق الدين بالإنسان ، فمن أهمل وأفراط ، وكلف نفسه الشطط ، أسعرت فيه الأسقام شهابها ، وكدرت له الأيام صفو شرابها وعصته بنايها ، فتحسّر على إفراطه ،

يقول الله تعالى : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » ويقول سبحانه : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ » .

عن عامر بن أبي موسى عن أبيه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه ومعاذ ابن جبل إلى اليمن قال لهما : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا (رواه البخاري)

نرى من هذا الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر سفيريه بالتيسير ونهاهما عن التعسير ، والتيسير هو التسهيل على الناس في أمور حياتهم وشئون عبادتهم ، وقد ندب إليه القرآن الكريم : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » فلا يحشمهم صعباً ، ولا يكلفهم عسراً ، فالإسلام دين السباحة واليسر ، وهو يذم الإفراط وينكر التفريط ، فكلاهما يذهبان نعمة السلامة ويتركبان لجة الندامة ، وكما أوصى الدين

فلم تغن حسرته فتيلًا أو تشف عبرته غليلاً ،
وأحزم الناس من أخذ رقاب الأمور بين
يديه ، وجعل العواقب نصب عينيه .

وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ، أنه كان يقول : (والله لأصومنَّ
النهار ولأقومن الليل ما عشت) فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستدعاه وقال
له : أنت الذى تقول ذلك ؟ قال عبد الله : نعم
لا أريد إلا الخير ، قال : فإنك لا تستطيع
فصم وأفطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة
أيام فإن الحسنة بمشر أمثالها وذلك مثل
صيام الدهر ، قال عبد الله : فإنى أطيق أكثر
من ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : صم
يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه
السلام وهو أعدل الصيام ، فإنك لا تدري
لعلك يطول بك العمر . قال عبد الله : تشددت
على نفسي فشدد على فصرت إلى الذى قال
النبي صلى الله عليه وسلم ، فلمأكبرت
وَدِدْتُ أنى قبلت رخصة النبي صلى الله عليه
وسلم فى صيام الثلاثة الأيام . ولا شك أن
الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ،
فمن جاوز حد الاعتدال ركب الخطار
واعتسف العثار ، وعرض نفسه للتلف ،
فكل شيء فى الوجود له طاقة محدودة ،
إن مُحمِّل أكثر منها ضاق ذرعه وأصابه
الضرر ، فهذا مثلاً بناء صمم أساسه ليحمل

بضعة أدوار ، فإن مُحمِّل أكثر كان عرضة
أن يدك بنيانه وتنشق جدراناه .

ثم ألم تسمع عن ذلك الحادى الذى حدا
للإبل حتى نسيت نفسها ، فأسرعت فى
مشيها ، فما بلغت مستقرها حتى قضت
نحبها .

والطب يقول فى ذلك كلمته ، بأن من كلف
نفسه فوق طاقتها أرهقها وأرداها ، فكل
إجهاذجئانياً كان أو عقلياً أو نفسياً ، يسبب
أعراضاً تزيد وتشتد الحين بعد الحين حتى
تنتهى بالأمراض المختلفة وترى صاحبه فى
جهد جاهد ونصب ناصب ، فتزداد ضربات
قلبه ، ويرتفع ضغط دمه ، ويسرع تنفسه ،
وترتفع درجة حرارة جسمه ، ويكثر عرقه ،
وتجهد منه الكلى والكبد .

والإجهاذ يسبب التعب والإعياء ،
والتعب يفتك بالأعصاب ، فأترى المنهوك
المتعب إلا وأظله الهم والحزن ، قد قلت
قدرته على العمل ، واعتراه اليأس والملل
وأصابه الهم والوسوسة .

أرأيت إلى مدمن السهر ، كيف
أرهق نفسه عسراً فأصابه الضرر ، ومنع
عن نفسه النوم الذى يجدد القوى التى كلت
بالسهر ، فالطالب الذى يصل الليل بالنهار
إذا قرب الامتحان ، يتحمل ذلك الإرهاق
يوماً أو بعض يوم ، ثم تضعف أعصابه وتذوى

شراً ، فلا يَغُرَّنَكَ حَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
لِلْعِبَادَةِ قَدْ انْقَطَعُوا ، وَعَنْ مَصَالِحِ أَوْلَادِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ قَدْ غَفَلُوا ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ غَابَ
عَنْهُمْ فَهْمُ حَقِيقَةِ الدِّينِ ، فَهَذِهِ الْمَغَالَاةُ شَيْءٌ
يَأْبَاهُ الْإِسْلَامُ الْحَقِيقِيُّ ، وَإِغْفَالُ دَوَاعِي
الْمَعِيشَةِ وَعَدَمُ الْاِخْذِ بِالْأَسْبَابِ مِنَ الذُّنُوبِ ،
بَلْ إِنْ هُنَاكَ ذُنُوبًا لَا يَكْفُرُهَا إِلَّا السَّعْيُ
وَرَاءَ الْمَعِيشَةِ .

فَكُلْ وَاشْرَبْ وَلَكِنْ بِاعْتِدَالٍ
(وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)
وَأَنْتَقِ وَلَكِنْ فِي قَصْدٍ دُونَ إِسْرَافٍ
وَلَا تَقْرُطْ فِي شَيْءٍ فَتَنْتَهِي عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي
جَنْبِ اللَّهِ أَوْ تَقْرُطْ فَيَنْقَلِبُ الْإِفْرَاطُ نَهْماً ،
وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ جَارَ عَلَى شَبَابِهِ جَارَتْ عَلَيْهِ
شَيْخُوخَتُهُ ، فَلَا تَحْرِقْ نُورَ مَشِيئِكَ بِإِفْرَاطِ
شَبَابِكَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ وَمِنْ شَيْبَتِكَ
لَهَرَمِكَ ، وَمِنْ قُوَّتِكَ لِأَمَلِكَ ، وَمِنْ جِدَّتِكَ
لَعَدَمِكَ ، وَمِنْ مَقَامِكَ لِرَحَلَتِكَ ، وَمِنْ دُنْيَاكَ
لْآخِرَتِكَ .

وَقِفْ عِنْدَ أَوْامِرِ رَبِّكَ بِالْإِمْتِنَانِ ، وَعِنْدَ
نَوَاهِيهِ بِالْاجْتِنَابِ ، تَكُنْ مِنَ الْعَابِدِينَ ، دِ
الْفَرَائِضِ وَأَصْفِ إِلَيْهَا مِنَ النُّوَافِلِ مَا اسْتَطَعْتَ
لَهَا قِيَامًا تَكُنْ مِنَ الْقَانِتِينَ ، وَاتْلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ وَلَوْ آيَاتٍ مَعْدُودَةٍ تَكْتُبُ بِذَلِكَ
فِي دِيْوَانِ التَّالِينَ ، وَاخْلُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ نِيَامًا
فَالْخُلُوةُ جَلَاءُ الْفِكْرِ ، وَسَلْمُ مَفْرَاجُ الْهَمِّ ،
وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَلَوْ رَكْعَتَيْنِ تَكْتُبُ فِي دِيْوَانِ
الْقَائِمِينَ .

عَضَلَاتِهِ ، وَقَدْ يُقْعِدُهُ فِي النِّهَايَةِ الْمَرَضُ ،
فَنِّهَايَةُ الْمَفْرُطِ حَرْمَانٌ وَخُسْرَانٌ ، وَلَوْ بَلَغَ
الْمُهِدَفُ فَاهُ لَوْلَا هَؤُلَاءِ قَفَاهُ ، وَلَوْ اسْتَذَكَّرَ بِاعْتِدَالٍ
وَخُصَّصَ لِلرَّاحَةِ وَقْتًا بَيْنَ فَرَاتِ الْعَمَلِ ،
لَمَا جَرَّهُ الْإِفْرَاطُ إِلَى التَّفْرِيطِ فِي صِحَّتِهِ .

وَهَذَا الْمِيطَانُ الَّذِي أَفْرَطَ فِي تَنَاوُلِ الطَّعَامِ
حَتَّى اكْتَنَزَ لِحْمَهُ وَتَرَبَّلَ شَحْمَهُ ، لَقَدْ أَلْقَى
عَلَى جِسْمِهِ حِمْلًا ثَقِيلًا ، تَنَوَّءَ بِهِ أَعْضَاؤُهُ ،
فَلَا الْمُدَّةُ تَقْدِرُ أَنْ تَهْضُمَ مَا يُلْقَى إِلَيْهَا مِنْ
طَّعَامٍ ، وَلَا الْقَلْبُ يَنْبُضُ بِانْتِظَامٍ ، ثُمَّ هَذِهِ
السَّمْنَةُ تَزِيلُ مِنْهُ الْفُطْنَةَ ، وَتَجْرُهُ إِلَى الْخَمُولِ
وَالْكَسَلِ ، فَتَرَاهُ قَدْ نَبَتَ عَنِ الْعَمَلِ قُدْرَتُهُ
وَبَعْدَتْ عَنِ الْفَهْمِ فُطْنَتُهُ ، فَيَقَعُ فَرِيسَةَ الْمَرَضِ
وَمَا مَرَضُ الدَّرَنِ الرَّئُوءَى مِثْلًا إِلَّا نَتِيجَةُ
الْإِجْهَادِ وَالسَّرَفِ ، وَالسَّرَفِ عَاقِبَتُهُ
التَّلَفُ ، إِذْ يُضْعَفُ مَقَاوِمَةُ الْبَدَنِ ، فَيَقَعُ
فَرِيسَةَ الدَّرَنِ .

أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ : إِذَا كَانَ الْإِسْرَافُ
فِي الْعِبَادَةِ عَدَّةَ الرَّسُولِ إِفْرَاطًا ، فَكَيْفَ
يَعْنِي إِسْرَافُ فِي الشَّهَوَاتِ إِسْرَافًا ، وَالذَّاتِ
تَمُضِي وَتَبْقَى تَبْعَاتُهَا مَغْلُودَةٌ فِي الْأَعْنَاقِ .
أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ : أَلَيْسَتْ الْعِبَادَةُ
شَيْئًا جَمِيلًا تَصْبُو إِلَيْهِ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الْإِفْرَاطَ إِلَيْهَا أَمْرٌ ذَمُّهُ
الشَّرْعُ وَاعْتَبَرَهُ مِنَ الْإِفْرَاطِ الَّذِي يَضُرُّ ،
فَالدِّينُ سَيْفٌ ذُو حَدِيدَيْنِ ، إِنْ أَحْسَنْتَ اسْتَمْتَلَهُ
كَانَ لَكَ عَوْنًا وَإِنْ أَسَأْتَ انْتَضَاهُ كَانَ عَلَيْكَ



الدين والمعجزات

وقد جر هذا بعض الناس إلى أن يقول
إن الإسلام ليس فيه خوارق للعادات ، فهل
يقر الإسلام هذا الادعاء أو لا يقره ؟ .

الحاج أمين الحسيني :

سبق أن ذكرنا مراراً أن هناك حملات
مدبرة ومؤامرات مبيتة تقوم بها منظمات
أجنبية خطيرة ، تمدها أموال طائلة ودراسات
واسعة ، وعقول مأكرة ، تهدف إلى زعزعة
عقائد المسلمين بشتى الوسائل والدعايات ،
وبث الريب والشبهات ، بواسطة المصلين
الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وبواسطة
المستشرقين والمدارس الأجنبية والمدارس التي
تسير على منهاجها ، وغير ذلك من وسائل
الدعاية من صحف ومجلات وإذاعات ونحوها .

ومما لا ريب فيه أن الدعايات البارة
المستمرة تؤثر في النفوس والأذهان ، كما يؤثر
سقوط الماء المستمر على الحجر الصلد . ومن
تلك الدعايات زعمهم أن الرسول صلى الله عليه

في مساء الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى
سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ١٩٥٨ م ،
انفقدت ندة لواء الإسلام بدار لواء الإسلام ،
وقد حضرها الأساتذة :

سماحة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني ،
الدكتور منصور فهمي ، محمود سليمان غنام ،
محمد الشافعي اللبان ، أمين عز العرب ،
عبد العزيز فهمي ، عيسى أبو طالب ، سليمان
العقاد ، محمد سابق .

والأساتذة : محمد البناء ، محمد أبو زهرة ،
عبد الوهاب حموده ، صبري عابدين ، مصطفى
زيد ، أحمد الشرباصي ، الدكتور عبد العزيز
عامر ، محمد كامل البناء ، محمد علي شتا .

وكان موضوع الندوة السؤال التالي :
يتحدث الناس كثيراً في أن النبي صلى الله
عليه وسلم نشر دعوته وبين دينه بأسباب من
الأرض لا بأسباب من السماء ، وأنه لم يجر
على يديه خوارق للعادات مثل التي جرت على يد
عيسى أو موسى أو سليمان أو غيرهم من الأنبياء .

وسلم ليست له معجزات سماوية ، ومن المحزن أن هذه الدعاية وغيرها كان لها تأثير على بعض المسلمين حتى على بعض العلماء ، فشرعوا يؤولون كل شيء حتى صاروا يفسرون المعجزات والخوارق ، ويؤولونها تأويلات غريبة ، وكادوا ينكرون العقيدة بالغيب ، ونسوا أن الإسلام معناه التسليم بقدرة الله العلي العظيم ، وأن المسلمين هم الذين يؤمنون بالغيب ، ويؤمنون بكل ما جاء في كتاب الله من آيات ومعجزات ، ولما شرع بعض المسلمين في محاولة التأويل وظنوا أنه أكرم لهم ولدينهم أن يتظاهروا بعدم التصديق إلا بالمحسوس تجرأ أعداء الإسلام فزعموا أن لا خوارق ولا معجزات ، وجتحموا إلى تفسير معجزة الإسراء بأنها كانت بالروح دون الجسد . أما الحقيقة فهي أن لرسول الله من المعجزات ما هو مسجل في الكتاب والسنة والتاريخ منها : الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والمراجع إلى السموات العلى ، وانشقاق القمر وإكثار الطعام القليل يوم الخندق وغيره ، ومنها الإخبار بالنيوب في وقائع كثيرة وغير ذلك ، ولعل من أهم المعجزات قيامه صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوة وحده والعالم حينئذ خصم له ومنكرو ومقاوم لرسالته ، ثم انتهى في غضون ثلاث وعشرين سنة إلى إقامة هذا الدين المتين ، ولم ينقض قرن

واحد على رسالته حتى سيطرت رسالته على معظم أقطار العالم المتمدن المعروف حينئذ في آسيا وأفريقيا وأوربا ، مما لا يعرف له نظير في رسائل الأنبياء ، ولا غيرهم من العظماء .

وهناك المعجزة الكبرى وهي القرآن الكريم ، الذي مضى على نزوله نحو أربعة عشر قرناً تبدلت خلالها القواعد ، وزيفت رسائل ، وهو لا يزال على جدته وقوته ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، بل ازدادت حجته قوة بارتقاء العلم وظهور الاختراعات والاكتشافات التي جاءت مصدقة لما في القرآن من حقائق .

وليس إعجازه في سمو بيانه وبلاغته فحسب ، بل أيضاً في معانيه العظيمة وفي شموله أصدق الحقائق الكونية والعلمية والخلقية والاجتماعية ، وأصح القواعد لبناء المجتمع الصالح ، وضمان الخير والسعادة ، والعدل والإحسان لبني الإنسان : « قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً » .

الاستاذ محمد البنا :

السؤال ينقسم إلى شعبتين : الشعبة الأولى خلاصتها أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن نبياً يوحى إليه ، وإنما نشر دينه

بأسباب غير الوحي ، والشعبة الثانية أنه لم
تجر على يديه خوارق للمعادات ، أما أن محمداً
لم يكن نبياً يوحى إليه ، فهذه فرية ليست بنت
اليوم فقد تكلم الناس فيها وألفوا فيها كتباً
ورسائل ، وهؤلاء الناس افترقوا عدة فرق ،
فجماعة قالوا إن محمداً كان وحيه ينبع من نفسه
أى أن العقل الباطن تسلط على محمد وهيء له
أن قومه وصلوا إلى حالة من الفساد تستدعى
أن يفكر في إصلاحها ، وتمثل له هذا التفسير
بصورة تصورها هو أنها ملك ، وقال إنني نبي
يوحى إلى ، وفرقة قالت : الأمر غير هذا ،
إن محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تعلم
ما تعلم من أناس منهم بحيرا الراهب وورقة
ابن نوفل وقس بن ساعدة ، وساعده أن
النصرانية واليهودية كانتا منتشرتين في بلاد
العرب ، فأخذ يبحث فيهما وتعلم منهما
ما تعلم ، وبخصافته وقوة عقله أخذ هذه العصارات
وخلص منها دينه . وفرقة أخرى أشد إلحاداً ،
قالوا إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن شيئاً
يذكر ، فقد وضع صولون اليوناني في نصوصه
قانوناً كقانون محمد ، وقبل ذلك وضع حمورابي
ديانة فبماذا جاء محمد ؟ الأمر لا يعدو أنه رجل
كسائر الرجال ، اغتر به قوم من العرب ،
ومن حوله ، وصنعوا له هذه الحالة ، وقالوا إنه نبي
واتبعه الناس على عادة الشعوب ، فأصبح
نبياً وأصبحوا يخلقون له المعجزات ... الفرقة
الأولى تنظر لمسألتهم بمسألة جان دارك ،

أما الشبهة الثانية فهي قولهم إنه تعلم
من قس بن ساعدة ومن بحيرا الراهب إلخ .
فالأمر أيضاً لا يعدو أن يكون جهلاً بالتاريخ
أو تحريفاً لوقائمه ، لأنه لم يقابل بحيرا الراهب
إلا مرة واحدة حين كان مسافراً مع عمه

للتجارة في الشام ، وكانت سنة في ذلك الوقت تسع سنين أو اثنتى عشرة سنة على خلاف بين المؤرخين ، وقد رأى بحيرا فوقه سحابة تظله ، فقال لعمه : إن ابنك هذا يجب أن تحذر عليه من اليهود ، لأنى أظن أنه نبي العرب ، الذى وعدت الكتب المقدسة أنه يبعث من العرب . هذه الحادثة لا يمكن أبداً أن تنتج أن رسول الله يتعلم من بحيرا الراهب . أما أنه تعلم من ورقة بن نوفل فهذا أيضاً جهل بالتاريخ ، لأنه ذهب إليه مع بنت عمه خديجة ، وهو يرتعش من الخوف ويقول : إني رأيت ما لم أر ، قال : هذا الناموس الذى أزل على موسى ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك ، قال : أو مخرجى هم ؟ قال : ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا أخرجوه ، ومات ورقة بن نوفل قبل الرسالة ، وهذه هى الحادثة الوحيدة التى تكلم فيها مع ورقة ، ثم إن ورقة لم يؤثر في التاريخ أنه كان رجلاً عالماً أودارساً للأديان ، كل ما فيه أنه كان يعتنق المسيحية لأنه يفر من عبادة الأصنام التى كان عليها العرب .

أما تعلمه من النصارى واليهود الذين كانوا في بلاد العرب ، فهذه أيضاً شبهة ضعيفة ، لأنه جاء بكتابه بأشياء تخالف كثيراً مما جاء به النصارى واليهود ثم جاء في كتابه بتفنيد لمقائد النصارى واليهود في زمنه .

قال قوم إنه سافر إلى مدين وتعلم من

هناك . هذا أيضاً كلام غير معقول لأنه لا يمكن أبداً أن يسافر الرسول إلى مدين ليلتقط بعض كلمات من السوقة أو من الغادى والرائح ويدعى أنها وحى ، والأنباء التى جاء بها أيضاً لم تكن في كتب أهل الكتاب ، وإلا لكان أول من يحتج على كذب محمد هم النصارى العرب ويهود العرب ، لأن الله يقول : « تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ » :

ولو كان هذا في كتبهم لكانت أبرز حجة للعرب أن تقول عن النبي إنه ناقل فكيف يكون وحياً ؟ ثم هم مجمعون على أن محمداً صادق طول حياته ، حتى أعداؤه أنفسهم أبوجهل وأبو لهب كانوا يشهدون له بالصدق وهذا أساس الموضوع ، والسور المكية في كتابه كلها مملوءة بأخبار الوحي ، فهل يكون صادقاً طول عمره ، ويكذب في هذه المسألة ؟ .

بقيت كلمة في معجزة النبي ، ولا يعنى أن أتكلم في خوارق العادات لسيدنا عيسى ، أو موسى ، وأريد أن أقول إن هذه ليست خوارق للعادات لأن اللاما في الهند أحيا الميت مثل عيسى . . وبهذا تكون معجزة عيسى غير خارقة للعادة ، إنما معجزة محمد فاقت كل هذه المعجزات ، وقبل اليوم كتب كاتب يستمد مجده كله من الدين ، ولم يصل إلى ما وصل إليه إلا لأنه ينتسب إلى علماء

الدين ، كتب أن محمداً ليست له معجزات كعيسى وموسى ، فرد عليه الرحوم الشيخ الخضر رضى الله عنه في هذه المجلة بمقالات ، ولكنى أريد أن أقول إن معجزة محمد فوق هذه المعجزات كلها ، فكل نبى كانت معجزته من جنس ما يمتاز به قومه ، كان المصريون يمتازون بالسحر فجاء موسى وألقى العصا فبطل السحر والساحر ، وجاء عيسى وكان قومه مشهورين بالطب ، فقال أنا أحيى الموتى وأشفى الأكمه والأبرص بإذن الله ، ومحمد قومه مشهورون باللسن والفصاحة ، فجاءت معجزته شيئاً يخرس هذه الألسنة كلها وهو القرآن ، ولم يخرس هذه الألسنة فقط ، بل أخرس كل الألسنة وأعجز العقول ، واشتمل على عقائد وعبادات ، وآداب وأحكام ، ونظروا فلم يجدوا لهذا مثيلاً قط ، لا في اللغة ولا في المعنى ، فكانت معجزة محمد هي المعجزة الباقية مع الزمان كنبوته .

الاستاذ صبرى عابدين :

ادعاء فريق من الناس أنه ليس هنالك معجزات ولا كرامات للنبي صلى الله عليه وسلم ادعاء باطل لا يقره الدين ، هؤلاء الذين يدعون هذه الدعوة فريقان فريق يقدم إلى تأليف بعض كتب في المسائل الحساسة الدينية ، وهم أبعد الناس عن فهم حقائق الدين ، ويخوضون في هذه المسائل بجهل

العرب قبل أن يبعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم بمميزاته هذه كانوا منقسمين إلى فريقين فريق في الجزيرة العربية خاضعين لعبادة الأصنام تسودهم الفوضى والنزاع وإسالة الدماء لأنفقه الأسباب ، ولم يكن لهم أى شيء يذكر في مجال دولي ، والفريق الآخر كانوا دويلات في اليمن والشام . والفريقان كانوا خاضعين لأمبراطوريتي الفرس والروم ، ولم يكن لهم شأن يذكر ، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم بمميزاته ، ومن أهمها أنه جمع هذه القلوب المتنافرة من العرب الذين كانوا كأنهم حمر مستنفرة وقد

على هذا الكتاب وفتح المسلمون بلاد الشام
وجاء أبو بكر وسلم النطية إلى أصحاب الدارين
وهذه الأماكن معروفة إلى يوم الناس هذا .

لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابه إلى كسرى ملك الفرس ، كان كسرى
جباراً في الأرض ، فلما أخذ الكتاب مزقه ،
وألقاه في الأرض ، فبلغ الخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فدعا الله أن يعزق
ملكه وإنه إذا مات كسرى فلا كسرى
بعده ولم يكتف كسرى بهذا التمزيق فأرسل أمراً
إلى باذان وهو حاكم اليمن من قبل كسرى
أن يرسل فرقة من المدينة لتقتل هذا الرجل
الذي يدعى النبوة أو يتوب ، فجاء هؤلاء
الفرس حتى وصلوا إلى رسول الله ، وأخبروه
بصراحة لماذا يجيئون ، فقال الرسول بكل
هدوء : أخبر من أرسلك أن ربي قد قتل
ربه فإن كسرى قد قتله ولده في هذه الليلة .
فكتبوها وعادوا إلى اليمن ، وإذا الرسل
تصل من بلاد الفرس إلى باذان تحدد له
بالدقة والضبط الذي أخبر به رسول الله وهو
جالس في المدينة .

الدكتور عبد العزيز عامر :

إني أعجب لهؤلاء الذين يقولون إن محمداً
صلى الله عليه وسلم إنما نشر دعوته بأسباب
من الأرض لا بأسباب من السماء . وإني
أعتقد أن أبلغ دليل للرد على هؤلاء أن هذه

صهرهم الرسول في بوتقة الحق وجعلهم دعاة
وحمله لخير دين ، وجعلهم خير أمة أخرجت
للناس ، هذه المعجزة ليست من صنعه
صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان يستمد ذلك
من الله ، ومعجزاته كلها من السماء . ففي ليلة
الإسراء ذهب في مدة قليلة ورجع إلى قومه
في مكة ، ولما أخبر أبا جهل والقوم أرادوا
أن يتحدوه بأن يصف لهم بيت المقدس ،
فاذا يصنع وهو الصادق المصدوق الذي
لا يتكلم إلا عن حق ؟ هنا يقول النبي :
فكرت كربة لم أكرب مثلها فجلي الله
لي بيت المقدس ، بجانب بيت آل عقيل ،
فكنت أصفه وأقول لهم هو كذا وكذا ...
هذه معجزة مروية في الصحيحين .

معجزة أخرى ، جاء وفد الدارين إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام التاسع
من الهجرة في عودته من تبوك ، فأسلموا ،
وقال كبيرهم تميم بن أوس الداري رضي الله
تعالى عنه : يا رسول الله ، إننا نريد أن
تقطعنا شيئاً في بلاد الشام . فكان صلى الله
عليه وسلم متأكداً أنه سيفتح بلاد الشام ،
فكتب لهم كتاباً بهذا نصه : « هذا ما أنطى
محمد رسول الله تميم بن أوس الداري وأصحابه
الدارين ، أنظاهم بيت عنيون وبيت إبراهيم
وحضرا والمرتومة نطية بت » وكتب له
كتاباً بذلك ، ولم تمض إلا بضعة سنين قليلة

الدعوة التي نشرها النبي صلى الله عليه وسلم ما تزال في انتشار من يوم البعثة حتى الآن وإلى يوم الساعة. ولم يذكر التاريخ أن الإسلام تقلص عن بلاد دخل فيها اللهم إلا في حالات محدودة ، بفعل القوة والمصلبيين والغريبيين كما حدث في الأندلس وفلسطين ، أما غير ذلك فإن الإسلام دعوة ودين وهو في الانتشار ويذكر الجميع أنه انتشر في بلاد كثيرة بفعل التجار والسائحين ، لأنه دين سهل من عند الله ، ومعجزات الأنبياء جميعاً قد ذهبت وعفى عليها الزمن ، وكانت معظمها في حوادث فردية ورداً على حالات معينة ، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاء بمعجزة باقية ، هي القرآن الكريم ، فإنه تحدى العرب وتحدى العالم جميعاً أن يأتوا بسورة من القرآن أو بعشر سور منه ، أو بمثله ، فلم يستطع أحد أن يأتي بذلك مع فصاحتهم وقوة بلاغتهم ولو كان هذا القرآن من عند غير الله تعالى لأمكن الإنيان بمثله ولأمكن الرد على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا التحدي ، والذي يؤكد أن هذا القرآن هو المعجزة الكبرى وأنه من عند الله أنه أتى بآيات كونية لم يكن يعرفها الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن يعرفها النبي نفسه مصداقاً لقوله تعالى :

« وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّوْا

بِيَمِينِكُمْ إِذَنْ لَا زَنَابَ الْمُبْطِلُونَ » .
 وإني أذكر من هذه الآيات قوله تعالى :
 « وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ
 مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَذِيقَتَيْنِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ
 بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْثُلَهَا ضِعْفَيْنِ ،
 فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَابِلٌ فَطُلَّتْ »

وقد ثبت حديثاً أن الأشجار التي تروى من أعلى تؤتي ثمار مضاعفة ، وهذا يصدق قوله تعالى الآنف الذكر ، ويدل على أن القرآن كان من عند الله ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده علم ذلك ، وفيه أيضاً :
 « وَرَرَى الْأَرْضَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ
 تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ
 كُلَّ شَيْءٍ » قيل هذا في عهد لو كان الناس يقولونه لاتهموا بالجهل الفظيع ولكنه أصبح اليوم حقيقة مسلمة معروفة .

والله سبحانه وتعالى تحدى الناس وقال :
 « إِنْ أَنْتُمْ تُرَاوْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »
 وهذه الآية جارية مفعولها للآن والقرآن محفوظ برعاية الله سبحانه وتعالى ، وهذا يدل على أنه من عند الله سبحانه وتعالى وأنه المعجزة الكبرى لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم إن القرآن ذكر كثيراً من معجزات الأنبياء ، وذكرها على هذا الوجه فيه إقرار من القرآن بأن هذه المعجزات حصلت وبأنها حقيقة ومن الله سبحانه وتعالى .

ومن المعجزات نزول الملائكة في بعض غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في غزوة بدر في القرآن الكريم : « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ » :

الاستاذ أحمد الشرياني :

الدين الإلهي رسالة من الله إلى الناس ، والله سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء ، فلا تتيسر الصلة بينه وبين عباده الحادئين ، كما تتيسر الصلة بين بعضهم وبعض ، فلا بد من أن يتلقى رسالة الله ملك من عباده المكرمين ، والملك يلقيها إلى نبي صمعه الله تعالى على عينه واختاره لرسالته . ودعوى الرسالة - وهي دعوى التلقى عن الله بواسطة أحد الملائكة - دعوى خطيرة جليلة - إن لم تؤيد ببرهان قاطع ، خارج عن طاقة البشر ، معجز للناس ، مقرون بالتحدي - فإن الرسالة لا يتقبلها الناس بقبولها الحسن . لذلك رأينا الأديان السماوية منذ أقدم العصور تقترب بمعجزات الأنبياء التي حلت الناس على الاعتراف بهم والخضوع لرسالتهم ، وكان من سطوع تحدى هذه المعجزات أنها من جنس ما برع فيه القوم الذين يتجدهم النبي ، ولما كانت صناعة العرب هي البلاغة والبيان ، كان أقوى أسباب التأييد للدين الإسلامي هو هذا القرآن الذي تحدى فأعجز ، وخضع الناس له جميعاً من ناحية إعجازه معنى وبياناً ، ولذلك

نجد الحديث الصحيح المتفق عليه يقول : « ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

وهذا القرآن الذي تحدى الناس فأعجزهم ، وثبت أنه معجزة بهذا التحدي ، قد تضمن ذكراً صريحاً واضحاً لمعجزات تتعلق بالأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم ومعجزات تتعلق بمحمد صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، مثل الإمداد بالملائكة في بدر ، وإنزال المطر لسقى المسلمين دون المشركين ، وتثبيت الأقدام وقد كانت تسيخ في الرمال من قبل ، وإلقاء النعام أمانة في ليلة المعركة ، والمناصفة التي جاءت في غزوة الأحزاب ، وهزيمة المشركين فيها برغم كثرة جموعهم وقلة المسلمين وضعفهم ضعفاً شديداً ، إلى غير ذلك مما هو ثابت في القرآن الكريم ، وهو يدل على أن المعجزات موجودة في الإسلام بلا شك ، فقد أثبتنا ما ثبتت صحته وهو القرآن المعجز ، فتكون هذه المعجزات قد ثبتت عن طريق صحيح لا يقبل الارتياح .

وهناك إشارات في القرآن الكريم إلى حسن التلاق بين عمل العبد وعون الرب ، مما يشعرون بأن الله سبحانه وتعالى قد جمل الدعوة الدينية مجماً لمعونة الله - وهي المؤثر الأول والسبب الأكبر - وسعى

العبد ، يقول الله تبارك وتعالى مثلاً :
« فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ
إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى » . ويقول :
« يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » . فمثل هذه الآيات
تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى هو المؤثر
الأكبر ، ويقرن هذا التأثير بسمى من العبد ،
وإن كان هذا السعى بقدرة الله وفضله وهبته ،
فلا تخلو الدعوة الدينية إذن من سبب أرضي
ظاهري مقترن بالمؤثر الأكبر وهو فضل الله
ومعونته ، وإن كان الفضل في الأول والأخير
يعود إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو واهب القوى
والقدر التي يجب استغلالها واستغلالها . وعلى
الرغم من أنه قد وردت أحاديث نبوية صحيحة
أكثرها في البخاري ومسلم عن خوارق
العادات المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
كنعج الماء من بين أصابعه ، وتكثير الماء
والطعام القليلين ببركته ، وسرعة إجابة
دعوته ، وإخباره ببعض أمور متعلقة بالمستقبل .
على الرغم من أن هذا القدر كافٍ في إحاطة
مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتجلة
لا مثيل لها ، فإننا نرى فريقاً من الناس يغلو
في أمر الذات النبوية ، فينسب إلى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم أموراً هي محل نظر ،
إذ لم تصح ولم تسلم ، كالقول بأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أول الخلق ، أو أن الخلق
جميعاً قد أوجد من أجله ، أو أن العرش
واللوح والقلم وغير ذلك من أشياء علوية

قد خلقت من نوره صلوات الله وسلامه عليه .
وكما غلا قوم في أمر الشخصية النبوية من ناحية
الإسراف في التقديس غلا قوم في تجريد
الرسول صلوات الله وسلامه عليه مما يجب
له وينبغي لمقامه من إجلال وتوقير ، ومما صح
نسبته إليه من خوارق ومعجزات .

الواقع أننا يجب أن نأخذ في هذا الموضوع
طريقاً وسطاً عادلاً ، وخيراً ما يحملنا على الطريق
الوسط هو القرآن المجيد ، فالقرآن يحدثنا
بأن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي ورسول ،
ونذير وبشير ، وداع إلى الله بإذنه وسراج مغير ،
ورءوف رحيم ، وعلى خلق عظيم ؛ إلى آخر
هذه الصفات الكريمة التي ذكرها القرآن
بشأن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن
الرسول مع هذه الأوصاف العظيمة بشر بنص
القرآن حيث يقول : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ » .
والسيرة تحدثنا أيضاً عن بشريته فيما يتعلق
بأمور الدنيا ، وإن كانت عصمته متحققة
متوافرة فيما يتعلق بأمور الدين ، وقصة « تأيير
النخيل » معروفة مشهورة ، وهو يقول في
هذه القصة : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ
مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَخُذُوا ، وَإِنْ أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ
مِنْ رَأْيِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ » . هذا فيما يتعلق بأمور
الرسول من جهة أنه نبي يوحى إليه من قبل
ربه ، وأتذكر الآن جيداً أن الإمام محمد عبده
في « رسالة التوحيد » والسيد محمد رشيد رضا
في كتابه « الوحي المحمدي » قد أضافا في القول

للعرب جميعاً في أسلوبه وبلاغته وفصاحته
وفي كل ماورد فيه ، في زمان بلغت فيه اللغة
العربية الذروة ، والقرآن ملء بالمعجزات
في محتوياته ، فالإنشاء ومد الرسول بالملائكة ،
والإخبار عن الغيب ، ومسألة الغار بتفصيلها
كل ذلك فيه معجزة ، وما من شك في أن الهجرة
يوم وقعت كانت هي الحادث الخطير الذي
أرخ به التاريخ الإسلامي ، وفيها معجزتان
الأولى هي معجزة الغار وكيف أمكن اختفاء
النبي فيه مع كثرة الباحثين والرواد يبحثون
في كل مكان ليصلوا إليه وإلى صاحبه وهما في
الغار ، والذي وقع معروف للعامة والخاصة .
وقال الصديق رضي الله عنه : لو نظر أحدهم
إلى موقع قدميه لرآنا ، وكان يخشى من هذا
ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ نبيه وأنزل
جنوده التي لم يروها وهذه معجزة .

المعجزة الأخرى معجزة سراقه بعد أن خرجا
من الغار وسارا في الطريق وأصبحا مكشوفين
فلحق بهما سراقه بن مالك ، وكان معروفاً بأنه من
أوائل فرسان العرب ، إلى أن كانا على مرأى
منه فإذا به يتعثر ، وفرسه تكبو مرة ومرة
وسلاحه يسقط منه وهو عاجز عن أن يتقدم
خطوة إلى أن اضطر أن يناديهما ، فناداهما
بعد أن انزعج وامتلأ قلبه بأن هذا شيء
خطير ذلك الذي هو قادم عليه ، وأنه لا بد له أن
يعود أدراجه وألا يمس هذين الكريمين بسوء
قال سراقه : أنا سراقه بن مالك انظروني
أكمكم ، فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه

إفاضة شافية عن هذا الموضوع ، وأنا أنصح
من يحب التوسع فيه من قراء ندوة « لواء
الإسلام » أن يرجع إلى هذين الكتابين ، ففيهما
مزيد من الشرح والإيضاح ، وفيهما بسط واف
شاف لما جاء في هذا الموضوع .

ونلاحظ أن الإسلام قد انتشر في نصف قرن في
نصف الكرة الأرضية ، وهذا الانتشار يرجع
إلى عدة أسباب . أولها : إرادة الله جل جلاله .
ثانيها : سمو المبادئ التي دعا إليها الإسلام .
ثالثها : المجهود العظيم الذي بذله الدعاة
والمجاهدون في سبيل الله مقرونا بإخلاص
هؤلاء الدعاة ، مما جعلهم الله أهلاً لكي
يعينهم ربهم وينصرهم : « إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ
يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » .

وهناك فريق من الباحثين يرى أن سر
انتشار الإسلام يرجع إلى سهولة تعقله ،
وسماحة تعاليمه ، وعلو المبادئ التي جاء بها ،
وأنها تخرج الناس من الظلمات إلى النور ،
ولو فرضنا أننا اقتصرنا على أن السر في
انتشار الإسلام يرجع إلى هذا وحده ، لكان
هذا أيضاً سبباً من أسباب السماء ، لأن الذي
يقدر على أن يأتي الناس بمبادئ هي أسمى
من مبادئهم ، وتعاليم هي أعلى من تعاليمهم ،
لا بد وأن يكون أعلى من البشر ، وهو الله
سبحانه وتعالى .

الاستاذ أمين عز العرب :

لا شك أن معجزة محمد صلى الله عليه
وسلم هي القرآن الكريم ، لأنه جاء مخرساً

لما وقفا طلب إلى محمد أن يكتب له كتابا ،
يكون آية بينه وبينه ، فكتب أبو بكر بأمر
النبي كتابا على عظم أو خزف ، وألقاه إلى
سراقة ، فأخذه وعاد أدراجه ، وأخذ نفسه
بتضليل من يطاردون النبي ، بعد أن كان أول
مطارديه ، وهذه بلا شك معجزة من المعجزات .
الإستاذ مصطفى زيد :

يذكرني هذا السؤال بسؤال وجهه
إلى أحد طلبتي منذ سنوات ، نقلا عن
قسيس يدعي أن القرآن يشهد بأن عيسى
خاتم الأنبياء ، فقلت له أستطيع أن أرد على
هذا القسيس قبل أن أعرف الآية التي استدل
بها ، لأنه لا مناص له من أحد أمرين ، إما
أنه لا يقبل القرآن ، ولا يصدق بأنه كتاب
من عند الله ، وحينئذ فلا حجة له به علينا ،
وإما أنه يقبله ، فهو لم ينزل على غير رسول
وهذا الرسول بالطبع بعد عيسى ، ثم سألته
عن الآية التي استند إليها ذلك القسيس فقال هي
قوله تعالى : « ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا
وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ » فقلت لملك
فسرت أولمله فسر قفينا بمخمتنا ، قال نعم ، قلت إذن
ختم الله مرتين فلا مانع من أن يختم بثالثة ،
ثم قلت له إن معنى قفينا : أتبعنا ، فالله عز
وجل يحكي أن الرسل ، كانوا أولا ، ثم كان
عيسى بعد هؤلاء الرسل وهذا الكلام يحكي
عن محمد ومحمد بعد عيسى ، فلا حجة لهذا
الرجل فيما قاله ، ولا يمكن أن يشهد القرآن
مثل هذه الشهادة .

مثل هذه الأسئلة التي تبطل نفسها
بنفسها ، ليست جديدة على الإسلام ولا على
المسلمين ، فهي قديمة ، ومن الثابت تاريخيا
أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، لم يستقبل بما يجب أن
أن يستقبل به عندما دعا قومه إلى الإيمان بالله
فقد عادوه وأحفوا في العداء ، وأذوه واشتد
إيذاؤهم له ، ثم كانت النتيجة بعد هذا أن
آمَنوا به جميعاً حتى ألد أعدائه ، ومثل هذا
التحول هو في ذاته دليل على أن الإسلام لم
يكن من عند محمد ، وعلى أن محمداً كان رسولا
من عند الله عز وجل . أما مسألة المعجزات
فقد صورها الله عز وجل في آيات كثيرة ،
منها قوله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ
قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا
كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » ، يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ
وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » هاتان
الآيتان تتحدثان عن أن كل رسول كانت
له معجزة من الله ، لا يستطيع الرسول أن
يأتي بها من عنده ، وإما يظهرها على يديه
تصديقا له ، وتأكيذاً لدعوته ، وقد تحدث
أساتذتنا الأجلاء عن معجزات الرسل ، عن
معجزة موسى في إبطال السحر ، وعن معجزة
عيسى في الطب ، وعن معجزة محمد وهي
القرآن ، وأعجبني ذلك التوفيق بين كون
الإسلام خاتم الأديان ، والشريعة الباقية إلى
أن تقوم الساعة ، وبين كون معجزته هي
القرآن الذي تولى الله حفظه وتكفل بأن

يُظَلُّ هو كتاب الحياة إلى أن تقوم الساعة ،
فن طبيعة الدين الخالد أن تخلد معه معجزته
والقرآن الكريم معجز بكل نواحيه ، أعجز
العرب بأسلوبه وبيانه وألفاظه ومعانيه جميعاً
مع أنهم كانوا أساطين البلاغة ورجال البيان .
تحداهم أن يأتوا بمثله ، ثم تحداهم أن يأتوا
بسورة من مثله ، ثم تحداهم أن يأتوا بمشعر
سور من مثله مفترات ، فأباح لهم الافتراء
إيماناً في التحدى ، ومع ذلك عجزوا عن كل
هذا ، ولم يثبتوا له ولم يستطيعوا أن يأتوا
بشيء . وكان معجزاً وما زال للناس جميعاً
بما تضمن من أنباء الغيب ماضيه ومستقبله ،
والعلم الحديث والأبحاث التي يجربها تطالعنا
كل يوم بأدلة على أن القرآن لا يمكن أن
يكون من كلام بشر ، ولا يمكن أن يكون
من كلام محمد النبي الأُمِّي ، الذي لم يكن
يعرف القراءة ولا الكتابة .

واقع المسلمين أيضاً في ماضيهم الحافل
بالانتصارات والفتوحات يشهد بصدق محمد
في رسالته . وبكاد هو أيضاً يكون معجزة
لدينه الخالد ، فقد فتحوا العالم واستطاعوا
بهذا الدين الذي سيطر على القلوب والأرواح
أن يغزوا كل دولة وأن يفتحوا كل إقليم ،
وأضيف إلى كل هذا أن الإسلام بمبادئه التي
تتفق مع الفطرة والتي تستهدف صالح الناس
جميعاً والتي لم يثبت على الزمن خطأ مبدأ
واحد منها أو بطلانه ؛ هو أيضاً في ذاته دليل
لا ينكر ولا يجوز أن يناقش على أن محمداً

صلى الله عليه وسلم كان رسول الله حقاً إلى
الناس كافة ، فمثل هذا السؤال حملة مفرضة
وحلقة في سلسلة الحملات المفرضة تعرض
لها الإسلام وما زال يتعرض وسينجو منها
كما نجا من قبل .

الاستاذ محمد أبو زهرة :

لعل من العسير على أن أتكلم في هذا
الموضوع بعد أن كتبت فيه ، لأنه مادمننا نتكلم
في الندوة فلا بد أن نأتي بجديد ، وأقول إن
محمداً من يوم أن حملت به أمه إلى أن قبضه
ربه إليه كان خارقاً للمادة ، فإِنْ حملت به
أمه ، ومضت بضعة أشهر حتى قبض الله أباه
إليه ، وما إن مضت بضعة سنين حتى قبض
الله أمه إليه ، ثم ما إن مكث سنتين أو نحو
ذلك عند جده حتى قبضه الله إليه ، فتربى أمياً
وتربى بغير كافل إلا أن يكون كافله هو الله
سبحانه وتعالى ، ومن نشأ هذه النشأة كان
ينتظر أن يكون غلاماً غير مهذب وعلى غير
عادات نبلاء العرب ، ولكنه كان غير ذلك
فقد نشأ مهذباً أكل تهذيب لإنسان في مثل
هذه الحياة أو في أى حياة مهما تكن . حتى
ساغ له أن يقول : « أدبني ربي فأحسن تأديبي »
وحياته عليه السلام كانت خارقة للمادة من
ناحية أخرى ، فإنه لم يسجد لصنم قط ولم
يعرف أنه عبث أولها قط ، حتى إنه مرة ذهب
إلى حفل يلهو فيه الشبان من مثله أو الغلمان
من مثله فضرب الله عليه فنام فلم ير ذلك
اللهو ، هذا كله نوع خارق للمادة لم يعرف

لم يعرف لإنسان قبله ، ثم اشتهر بين العرب بالأمانة اشتهارا لم يعرف لأحد مطلقاً عند العرب حتى صار يطلق عليه « الأمين » .

هذه حياته قبل البعث ، كانت معجزة أو كانت خارقة للعادة ، فلما بعث كانت حياته أيضاً خارقة للعادة ، ذلك لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وأتى بأعظم ما يأتي به العلماء ولم يأت عالم قبله ولا عالم بعده بمثل ما أتى به هذا الأُمي ، هذا وحده خارق للعادة ، فإذا قال قائل إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان وجوده معجزة وأمرأ خارقاً للعادة في ذاته لأنصف ولـ كان كلامه حقاً ، وترك هذا الجزء للنظر ما معجزة محمد ؟ وما الخوارق التي جاءت على يده ؟ جاء على يد محمد خوارق كثيرة جداً قد ذكر كثيراً منها الإخوان ، ولا أعيد ذكرها حتى لا يكون تكراراً ، ولكنه لم يتحد بهذه الخوارق بل يتحد بخارق واحد وهو القرآن الكريم ، ولذلك نستطيع أن نقول ونؤكد إن محمداً صلى الله عليه وسلم جرت على يده خوارق كثيرة وحكي القرآن الكريم أ. كثر خوارق النبيين حتى إنه ليعمد بحق سجل معجزات النبيين السابقين جميعاً ولكن محمداً يتحدى بالقرآن وحده ولذلك نستطيع أن نقول إن المعجزة الوحيدة للنبي هي القرآن ، ذلك لأن شرط المعجزة أن يتحدى الناس أن يأتوا بمثلاً ، فإذا عجزوا عن أن يأتوا بمثلاً كان ذلك إعجازاً لهم وكان حقاً عليهم أن يصدقوا ، فإن لم يصدقوا يكونوا ممن

جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ، فنحن لانفي الخوارق بل نؤكد ونثبت ونوجب التصديق بها لأن بعضها جاء به سنن متواترة وبعضها استفاضت به الأخبار مما لا يحمل مجالا للتكذيب ، ولكن النبي لم يتحد إلا بالقرآن . لماذا اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على التحدي بالقرآن مع أنه كان في استطاعته أن يتحدى بالإسراء والمعراج وأن يتحدى بتلك الخوارق كلها ؟ ذلك تعليله هو ما ذكره حضرات المتكلمين من أن معجزة كل نبي تكون من جنس ما يدعو إليه النبي . لأقول إنها مما يناسب قوم النبي بل أقول إنها تكون من جنس ما يدعو إليه النبي فما الذي يدعو إليه صلى الله عليه وسلم ؟ دعا إلى الإيمان بالله وإلى الإيمان بالغيب وإلى الإيمان بأنه خاتم النبيين وأنه لا نبوة بعده وأنه آخر لينة في صرح النبوة الإلهية ، وإذن يجب أن تكون معجزته باقية لتكون الحجة على رسالته باقية . والقرآن الكريم حجة قية ، ومعجزة يتحدى الله سبحانه وتعالى بها العرب وغير العرب إلى يوم القيامة . ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم من ناحية ما اشتمل عليه من علم ، وما اشتمل عليه من شرائع . وإني لأذكر في هذا المقام أن رجلاً انجليزياً سافر إلى الهند فالتق بمسلم فسأله عن عقيدته فقال له : أنا مسلم ، فقال : ما الكتاب الذي تدينون به ؟ فأعطاه المسلم الهندي ترجمة شوهاء للقرآن فأخذ يقرأها فوجد فيها وصفاً

الخوارق العادات من شأنه أن يقوى إيمان المؤمنين . لأن الإيمان أساسه الإيمان بالغيب والإيمان بقوة مسيطرة وراء المحسوسات وهذا يزكيه دائماً الخوارق للعادات المستمرة .

وهنا نقول : بماذا كانت نصرته محمد؟ هل كانت نصرته محمد بأسباب بشرية ؟. ذلك مقام آخر وراء خوارق العادات ، ذلك لأن محمداً صلى الله عليه وسلم صابر المشركين ، وكان يمكن بخارق المادة أن يحملهم على الإيمان ومع ذلك ظلت مصاربه ثلاث عشرة سنة ، ثم لم ادخل إلى المدينة ، نجد أنه كان ينتصر وكان يهزم وكانت هزيمته بأسباب بشرية وكانت نصرته في كثير من الأحوال بأسباب بشرية ، فالبشرية لها دخل في نصرته النبي صلى الله عليه وسلم والتدبير البشري كان له دخل في نصرته النبي صلى الله عليه وسلم بدليل الأمر بالشورى وبدليل : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » فكل هذه كانت أسباباً بشرية . لماذا ؟ .

لأن شريعة محمد باقية ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان في بشريته أسوة حسنة للمسلمين لكي يتبعوه فيما يحدث لهم من أحداث ، ولا يقولون انتصر النبي لأنه كان ينتصر من السماء ، فسن لهم طريقة الانتصار الإنساني البشري فكانت أيضاً نصرته البشرية متفقة مع طبيعة ما يدعو إليه وهو البقاء لهذه الشريعة . إذا كان محمد ينتصر من السماء دائماً وجئنا نحن وانهزمنا يقال لنا انهزمنا لأسباب

للرياح وكان الإنجليزى بحاراً فقال : لعل محمداً كان أعظم بحار في الدنيا لأنه وصف الرياح ووصف الأفلاك ووصف مجارى البحار بما لم يصفه أحد . فقال له قائل : إن محمداً لم ير البحر قط . فعندئذ قال الرجل : فإذا من علمه هذا ؟ فقال : إنه من عند الله ، فقال : هو صادق وإذا فإني أسلم . وما يذكر في هذا أيضاً أن ذات كلام النبي الذي كان يوحى إليه به من أحاديث نبوية هو في ذاته دليل على أن محمداً ما كان يخاطب إلا من عند الله . التقيت بشاب أمريكي تعلم العربية فسألته : فيم تقرأ قال أقرأ كتب السنة ، فقلت له ما الذي ابتدأت به من هذه الكتب قال ابتدأت بالبخارى وإني عازلت أقرأ فيه فقلت له ما رأيك فيما قرأت فقال إنه كلام عظيم جداً لم أر مثله فقلت له : من أين تعلمه محمد في رأيك ؟ فقال : لا بد أنه تعلم على أكبر المفكرين من الفلاسفة والحكماء ، فقلت له : يا هذا إنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكان محمد يعيش في مكة وهي بلد أمي ليس فيه مدرسة ولا يعلم أى شيء من العلوم قط ، فهل ما عند اليونان يساوى ما جاء به محمد؟ قال لا أعلم أن كلاماً قيمياً مماثل ما أقرأ من كتب السنة ، فقلت له : إنه يقول هو من عند الله فهل تستطيع أن تكذبه فيما يقول ؟ فقال : لا أستطيع أن أكذب ولكن أرجو أن تتركنى مدة أتفكر فيها . ثم بعد ذلك لم ألقه لأن ذلك الحديث كان في اليمن .

هناك إذن كثير من الخوارق ، وتضافر

من السماء ، لكن النبي صابر ثلاث عشر سنة
ثم لما حارب كان يهزم وكان ينتصر ليرى
ضعف الإنسانية وريتنا قوة الإنسانية ، فإذا
جئنا بعد ذلك وأمرنا بالإلتهام به يكون
للاقتداء موضع .

الاستاذ محمد البنا :

المعجزة يجب أن تكون مقرونة
بالتحدى ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم
يتحد بمعجزة من المعجزات ، وأريد أن أقول
إن السائل الذى يقول إن محمداً لم يكن له
معجزات كمعجزات عيسى وموسى فى ضلال
مبين لأن معجزات عيسى وموسى لم تثبت
إلا بطريق محمد ، لأنه لم ترد إلينا معجزات
عيسى وموسى بطريق مأمون من الطعن
إلا بطريق القرآن . وردت بالتوراة والإنجيل
أمور التصديق بها عسير وإنه لا يمكن أبداً
أن نصدق ما جاء فى التوراة من أن الله تعالى ندم
على خلق الخلق وعزم على الانتقام منهم .. إلخ
ففيها أشياء كثيرة تدل على أن هذه التوراة
محرفة ، وعلى أن الإنجيل محرف ، وما دام
التحريف قد دخل فى التوراة والإنجيل
فلا يمكن أن نثق بهما ، فالوثوق بمعجزات
هؤلاء الرسل إنما جاء من ناحية القرآن
فالقرآن لم تثبت لهؤلاء الرسل رسالة ولم
تقم على معجزاتهم أية دلالة .

الاستاذ عيسى أبو طالب :

أذكر من خوارق العادات حديث الذراع
التي أخبرت الرسول بأنها مسمومة وقد قتل

بسببها أحد أصحابه صلى الله عليه وسلم .
وهناك أمر يدل دلالة قاطعة على أن
رسولنا صلى الله عليه وسلم كان يؤذبه ربه
وتسيره تعاليم مولاه ، وهى أسلوب تربية
الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه حتى
كون منهم قوماً لم يشهد التاريخ مثلهم وكانوا
بحق كما وصفهم القرآن الكريم « كُنْتُمْ
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » .

وهذه الطريقة التى هى من الله أو جدت.
رجالاً كأبي بكر فى صلابته فى الحق ولينه
للناس ، وكمر فى شدة مراعاة وقوة بأسه
وحسن إدارته ، وكتمان فى حياته حتى لتستحى
منه الملائكة وفى سخائه ، وكمل فى زهده
وتشفه وشدة محاسبته لنفسه . وليس هذا
مجال تقصى أخلاق هؤلاء البررة .

والغريب أن الصحابة لم ينجحوا فقط
كتلاميذ للرسول الكريم ، وإنما هم فى حياته
وبعد موته كانوا أساتذة للدين .

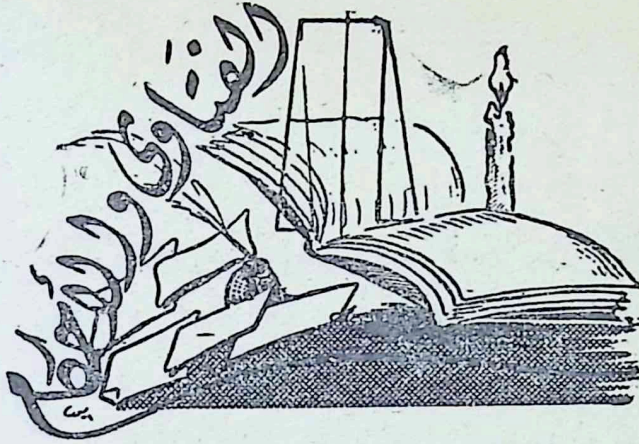
الخلاصة

أن النبي صلى الله عليه وسلم جرت
على يديه خوارق للعادات كثيرة وكان
فيها تقوية لإيمان المؤمنين وتشبث
لقلوبهم ولكنه لم يتحد إلا بخارق واحد
وهو القرآن الكريم لما اشتمل عليه ،
وقد كانت نصرة النبي صلى الله عليه
وسلم بأسباب من السماء وبأسباب
بشرية كان يقوم بها . ولذلك كان ينتصر
وكان قليلاً ما يهزم وإنما كانت نصرته
أحياناً أو فى أكثر الأحيان بأسباب بشرية
ليكون قدوة لنا من بعد ذلك .

حساب وحساب

بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يطوف ، إذ سمع أعرابياً يقول : يا كريم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلقه : يا كريم : فضى الأعرابي إلى جهة الميزاب وقال : يا كريم فقال النبي عليه السلام خلقه : يا كريم : فالتفت الأعرابي إلى النبي صلوات الله عليه وقال : يا صديق الوجه ، يا رشيقي القد ، أتهدأ بي ؟ والله لولا صباحة وجهك ، ورشاقة قدك ، لشكوتك إلى حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فتبسم النبي وقال : أما تعرف نبيك يا أخا العرب ؟ فقال الأعرابي : لا ، فقال النبي : فما إيمانك به ؟ فقال : آمنت بنبوته ولم أره ، وصدقت برسائله ولم ألقه . فقال النبي : يا أعرابي ، اعلم أني نبيك في الدنيا ، وشفيعك في الآخرة ، فأقبل الأعرابي يقبل يد النبي . فقال النبي : مه يا أخا العرب لا تفعل بي كما تفعل الأعاجم بملوكها ، فإن الله سبحانه وتعالى ، يبعثني لا متكبراً ولا متجبراً ، بل ببعثني بالحق بشيراً ونذيراً ، فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : يا محمد : السلام يقرئك السلام ، ويخصك بالتحية والإكرام ، ويقول لك : قل للأعرابي ، لا يغرنه حلمنا ولا كرمنا ، فقد نحاسبه على القليل والكثير والفتيل والقطمير . فقال الأعرابي : أو يحاسبني ربي يا رسول الله ؟ قال : نعم ، يحاسبك إن شاء ، فقال الأعرابي : وعزته وجلاله ، إن حاسبني لأحاسبه ، فقال النبي : وعلى ماذا تحاسب ربك يا أخا العرب ؟ فقال الأعرابي : إن حاسبني ربي على ذنبي ، حاسبته على مغفرته ، وإن حاسبني على معصيتي حاسبته على عفوه ، وإن حاسبني على بخلي ، حاسبته على كرمه ، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ابتلت لحيته ، فهبط جبريل على النبي وقال : يا محمد ، السلام يقرئك السلام ، ويقول لك : يا محمد ، قلل من بكائك فقد ألهيت حملة العرش عن تسبيحهم ، قل لأخيك الأعرابي : لا يحاسبنا ولا نحاسبه فإنه رفيقك في الجنة ما

عبر الرحمن الضبع



س ١ : السيد / م . ب . ف - بسمنود - يسأل :-

حيث إنى مسيحي الديانة ، وقد اتفقت مع زوجتى على اعتناق الدين الإسلامى الحنيف ، فأرجو إفادتى عن الطريقة التى تمكننى من إشهار إسلامى مع زوجتى ، علما بأنى لا أريد هذا من طريق المحاكم ، حيث إن هذا سوف يخلق لى متاعب كثيرة .

ج ١ : الإسلام لا يحتاج إلى توثيق ، ويكفى فى حقيقة الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتدخلع من دينك الذى كنت تدين به ، فلا تحمل أى شارة من شاراته ، ولا تذهب إلى معبده . وتؤدى كل الفرائض الإسلامية . أما من ناحية التوثيق ، فإنه لكي تثبت حقيقة دينك لمن يهمه معرفة ذلك ؛ تعمد أى عقد خاص بأى تصرف ، وتذكر فيه اسمك الذى ترتضيه مع وصفك فى العقد بأنك مسلم ، ويوثق هذا العقد وتثبته عند أولادك ، وتوصى بالمحافظة عليه ، وتكتب وصيتك ، وتذكر فيها إسلامك وإسلام زوجتك لتدفن فى مقابر المسلمين ، وتعامل فى التورث معاملة المسلمين .

س ٢ : السيد / ف . ع . ١ - بقسم الخليفة - يسأل :

سيدة فى الشهر السابع من حملها ، تشعر أحيانا بسائل مائى يخرج من فرجها فأحيانا تحس به من الداخل ، وأحيانا يصل إلى ملابسها الخارجية ، ولذلك فهى متحيرة من ناحية صلاتها هل تجوز أم لا ؟

ج ٢ : إن هذا بلا شك ينقض الوضوء ، ويعد نجاسة ولا تجوز الصلاة إلا بالطهارة المعنوية والحسية منه ، أى الوضوء وغسل الثياب ، ولكن إذا اشتدت الحالة وأصبح

لا يمكن التخلص منها في وقت صلاة كامل ، فإنه بعد عذراً لا ينقض الوضوء ، ولا تنجس به الثياب ، ولكن عند الصلاة تتوضأ لوقت كل صلاة ، وهذا عند أبي حنيفة .
س ٣ : السيد / سالم محمد عمر الياني - بجدة - يسأل :

هناك مسجد عام له تقريباً مائة عام لا يصلي فيه أحد ، فهل يجوز هدمه ونقل الأحجار إلى مسجد آخر ؟

ج ٣ : اختلف الفقهاء في حالة ما إذا أصبح ما حول المسجد غير عام ، فقال بعضهم ينتهي فيه الوقف ، وقال بعضهم لا ينتهي ، وأحسن ما في ذلك هو ما قاله الإمام أحمد بن حنبل من أنه يجوز نقل المسجد من مكان غير محتاج إليه ، إلى مكان محتاج إليه ببناء المسجد في الأرض التي يحتاج إليها ، وتكون الأوقاف التي كانت عليه هي للمسجد الجديد .
س ٤ : السيد / عبدالله الغريب الطميولى - بالصف - يسأل :

(١) توفي رجل سنة ١٩٤٣ وتركه بنتين لابنه الذي توفي قبله وأخاً شقيقاً فما نصيب كل منهم ؟

(ب) توفي الأخ الشقيق وترك أخاً من الأب والبنتين المذكورتين سنة ١٩٥٨ فما نصيب كل منهم ؟

ج ٤ : عن الشق الأول من السؤال ، إذا لم يكن للرجل أولاد صليبيون فإن لبنتي ابنه الثلثين وللأخ الشقيق الباقي . وبالنسبة للشق الثاني تكون التركة كلها للأخ لأب إذا لم يكن سواه وسوى هاتين البنتين .

س ٥ : السيد / سالم عمر الياني - بجدة - يسأل :

في بعض مدن جنوب اليمن اعتاد المسلمون في آخر جمعة من رمضان - بعد الانتهاء من صلاة الجمعة - أن يصلوا بعدها الفروض الخمسة ويزعمون أنها تقضى ما فاتهم في السنة .
ج ٥ : لا نعلم لذلك أصلاً شرعياً ، ولا نعتقد أن له أصلاً شرعياً ، لأن الصلاة تقضى كلها ما استطاع الشخص أن يقضى ، ويستغفر الله عما لا يستطيع ، عسى أن يغفر له .
س ٦ : السيد / مختار السعيد أبو النور - بالقاهرة - يسأل :

والدى تاجر ويبيع « البيرة » ، ويقول إنها ليست محرمة ، لأنها مصنوعة من ماء الشعير فأرايكم ؟

ج ٦ : إن كان من شأنها أن تسكر فهي حرام ، وبمعناها حرام ، لأنه ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » .

محمد أبو زهرة

رسالة الأزهر — ٢ — القرآن .. القرآن أحمد حمزة	٥٧٩
تفسير القرآن الكريم محمد أبو زهرة	٥٨١
قضاء الحاكم لا يحل حراماً (حديث شريف) عبد الوهاب حمودة	٥٨٨
من سماحة الإسلام محمد البنا	٥٩١
الندوة الإسلامية العالمية بـلاهور محمد أبو زهرة	٥٩٥
نظرات في الحياة محمد كامل البنا	٦٠٢
دراسات قرآنية مصطفى زيد	٦٠٦
إلى الله أحمد الشرباصي	٦١٠
من أعلام الإسلام — أبو بكر — عبد المغني المنشاوي	٦١٤
دعني أنظر عبد الرحمن الضبع	٦١٧
الإفراط بين الطب والإسلام الدكتور حامد الغواي	٦١٩
ندوة لواء الإسلام « الدين والمعجزات » تحرير	٦٢٢
أنابيش عبد الرحمن الضبع	٦٢٧
الفتاوى محمد أبو زهرة	٦٣٨

مجلة لواء الإسلام

—♦—

مجلة دينية ثقافية اجتماعية

تحمل إليك شهرياً من القاهرة قلب الأمة العربية خلاصة الفكر
الإسلامي في أسلوب رائع .

صاحب الامتياز : أحمد حمزة — رئيس التحرير : محمد علي شتا

برقيا : الزهراء بمصر — ص.ب : ١٩٨٢ — تليفون : ٥٠٧٢١

العنوان : ١١ شارع شريف باشا — القاهرة

الاستراة السنوى

في مصر والسودان ٣٠ قرشا مصرياً

في الدول العربية ٥٠ » »

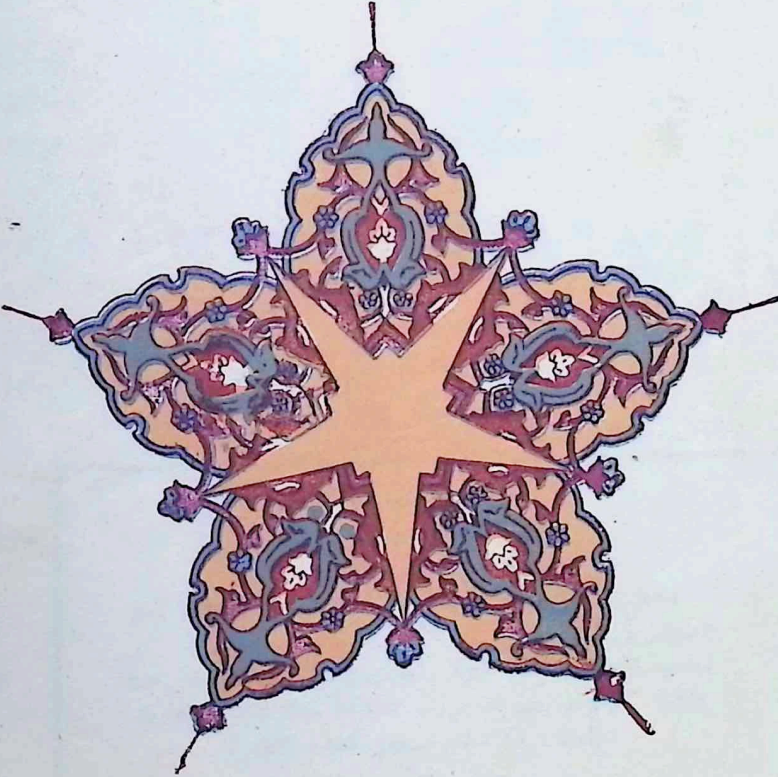
في سائر انحاء العالم ٧٠ » »

أو ما يوازيها من كوبونات البريد الدولية

(الكوبون الواحد يساوى قرشين مصريين)

مطابع دار الكتاب العربي بمصر





الثلثون ٣ قروش

مطابع دار الكتاب العربي بمصر

جروب مجلات قديمة - تلجرام

<https://t.me/megallat/>

Not-for-sale